اللقاء الإيماني الثامن والخمسون:

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٤>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن من شروط الإستخلاف والتمكين العمل الصالح وهو الذي يتوافر فيه شرطان: الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة للرسول ﷺ.

فالإخلاص: أن لا يصرف نوعاً من هذه العبادة لغير الله.

و**المتابعة** : هي السير على المنهج الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله دون زيادة ولا نقص، ودون شطط ولا ميل، هذا هو العمل الصالح.

وكم من الناس اليوم من يقول: (لا إله إلا الله) وهو مع ذلك ينحني لغير الله ويخاف غير الله، ويسجد لضريح ويطوف على أعتاب ميت، ويخشع لغير الله ويذل نفسه لغير الله ﷻ، وهذا كثير جداً في أيامنا الحاضرة.

فلا تعجب حينما يتأخر الوعد، ولو نظرنا نظرة أخرى إلى العالم الإسلامي لوجدناه قد ضيع كثيراً من هذه الواجبات العظيمة التي شرعها الله ﷻ على سبيل المثال :

١- كثير من المسلمين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

٢- كثير من المسلمين عطلوا الزكاة.

٣- كثير من المسلمين ركبوا المحرمات، وركوب المحرمات يستلزم ترك الصالحات؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، ولذلك كم في بلاد المسلمين من بنوك الربا؟! وكم في بلاد المسلمين من وسائل الترفيه التي يقولون عنها: بريئة؟! وكم في بيوت المسلمين من الأجهزة الراقصة اللاهية اللاعبة؟! إلى غير ذلك من الأمور التي نسأل الله أن يعافينا ويعافي المسلمين من شرها ويحفظنا جميعاً بحفظه، وهذا الشرط إذا تحقق وقوعه تحقق الوعد الذي وعد الله ﷻ به (42).

* * *

على درب التوحيد (لا يقال السلام على الله)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ» (١).

إخوتي في الله، لَمّا كان السلام من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنّه لا يقال: السلامُ على الله وأيضاً: لأن معنى السلام الدعاء للمسلَّم عليه بالسّلامة من الآفات، والله جل وعلا منزّه عن أن ينالَه شيءٌ من النقص أو من الآفات أو من المكروهات، فهو الغني عن كل أحد ليس في حاجة إلى أحد، فيقال السلام على فلان أي عليك السلامة والعافية لأنه محتاج إلى ذلك، ثم بيَّن رسول الله ﷺ السبب في هذا النّهي فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ، كما قال تعالى: {هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} [الحشر:٢٣]».

فحينما يقول المسلِّم على النّاس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فمعناه: أنّه يقول: أدعو لكم بالسّلامة من الله سبحانه وتعالى، أو السلام عليكم أي: اسمُ الله عليكم، بمعنى: أن الله يحفظُكم ممّا تكرهون (6).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ورضا الله عنهم)

(١) (صحيح) أخرجه (خ)٥٨٧٦ و(م) ٤٠٢.

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

معاشر الأخوة، إن أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ وما فيها، ويُنكِر الرؤية فرق الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والشيعة الإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة.

قال تعالى : { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)} [يونس:٢٦]

التفسير: للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى، الجنةُ، وزيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، والمغفرةُ والرضوان، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة، كما يلحق أهل النار. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكثون فيها أبدًا.

وقال بعض العلماء : في هذه الآية أن رؤية رب العالمين في الجنة مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظرَ إلى الله عياناً في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر به تعالى عن جزاء الكفار في الآخرة { إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين:١٥] وجعل ذلك جزاءً لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا؛ فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة.

وقال تعالى:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣)} [القيامة: ٢٢ - ٢٣]

التفسير: وجوه أهل السعادة يوم القيامة مُشرِقة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك.

ورؤية المؤمنين في الجنة لربهم، عامة بالإنس والجن، للرجال وللنساء، ولم يدلَّ دليل على اختصاص الرؤية بالرجال دون النساء ولا على اختصاص الرؤية بالإنس دون الجن.

قال تعالى : {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦)} [يس: ٥٦].

وقال تعالى : {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)} [المطففين: ٢٣]

التفسير: فمن نعيم أهل الجنة أنهم يتمتعون هم وأزواجهم على الأسرَّة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعدَّ لهم من خيرات.

وجاء في صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس:٢٦]»(١).

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(٢)

* * *

مؤذن الرسول (بلال بن رباح ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لمؤذن رسول الله ﷺ بلال بن رباح الحبشي المؤذن ﷺ، وهو مولى أبي بكر ويقال له: بلال بن حمامة وهي أمه، أسلم قديما فعذب في الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه، شهد بدرا وما بعدها.وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، ولما توفي رسول الله ﷺ ترك الآذان، ثم خرج إلى الشام مجاهدا (٨).

تعذيب الكفار لبلال ﷺ وقصة عتقه:

---

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨١.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٨٣و (م) ٢٨٢٩.

روى ابن ماجة في السنن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ الله - أي عصمه من أذاهم - بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ - أي ألقوهم في الشمس-، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ - أي وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية - عَلَى مَا أَرَادُوا إِلاَّ بِلاَلاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ - أي صغرت لله تعالى وفي شأنه- وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ [1].

هكذا يفعل الإيمان بأهله، فبعد أن لامس الإيمان شغاف قلب بلال ﷺ، تحول إلى إنسان آخر، فقد كان صابرا على البلاء ثابتا على الإسلام، مرددا لكلمة التوحيد أحد أحد.

مناقب بلال بن رباح ﷺ :

روى مسلم في صحيحه عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ قَالُوا: لاَ يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَخِي [2].

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإسلام فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ - أي تحريك - بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ؟» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[3]، هكذا عاش بلال ﷺ مع رسول الله ﷺ بقية حياته ملازماً له.

---

(١) (حسن) أخرجه (هـ) ١٥٠ وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٥٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٠٤.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ١٠٩٨، و(م) ٢٤٥٨ واللفظ للبخاري .

الآذان:

جاء في سيرة بن هشام عَنْ ابْنِ إسْحَاقَ قَالَ:قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْنَ قَدِمَهَا - أي المدينة - إنَّمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ إلَيْهِ لِلصَّلاَةِ لِحِينِ مَوَاقِيتِهَا، بِغَيْرِ دَعْوَةٍ فَهَمّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْنَ قَدِمَهَا أَنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ يَهُودَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ لِصَلاَتِهِمْ ثُمّ كَرِهَهُ ثُمّ أَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمَيْنِ لِلصَّلاَةِ.فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إذْ رَأَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ رَبّهِ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ النِّدَاءَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّهُ طَافَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ طَائِفٌ مَرّ بِي رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ فَقُلْت لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: قُلْت: نَدْعُو بِهِ إلَى الصَّلاَةِ قَالَ: أَفَلاَ أَدُلّك عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْت: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَيّ عَلَى الصَّلاَةِ حَيّ عَلَى الصَّلاَةِ حَيّ عَلَى الْفَلاَحِ حَيّ عَلَى الْفَلاَحِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، فَلَمّا أَخْبَرَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إنّهَا لَرُؤْيَا حَقّ إنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلاَلٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ فَلْيُؤَذّنْ بِهَا، فَإِنّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْك». فَلَمّا أَذّنَ بِهَا بِلاَلٌ سَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجُرّ رِدَاءَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَبِيّ اللَّهِ وَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَقَدْ رَأَيْت مِثْلَ الّذِي رَأَى؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«فَلِلّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ» (٢٥).

بلال بن رباح ﷺ وغزوة بدر:

جاء في سيرة بن هشام عَنْ ابْنِ إسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ قَالَ لِي أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ مَنْ الرّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْت: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ قَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ: فَوَاَللَّهِ إنّي لأَقُودُهُمَا إذْ رَآهُ بِلاَلٌ مِعًى - وَكَانَ هُوَ الّذِي يُعَذّبُ بِلاَلاً بِمَكّةَ عَلَى تَرْكِ الإسلام فَيُخْرِجُهُ إلَى رَمْضَاءِ مَكّةَ إذَا حَمِيَت، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمّ يَأْمُرُ بِالصّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمّ يَقُولُ: لاَ تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمّدٍ فَيَقُولُ بِلاَلٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمّا رَآهُ قَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ: لاَ نَجَوْتُ إنْ نَجَا. قَالَ: قُلْت: أَيْ بِلاَلٌ أَبِأَسِيرَيّ قَالَ: لاَ نَجَوْت إنْ نَجَا. قَالَ: قُلْت: أَتَسْمَعُ يَا ابْنَ السّوْدَاءِ قَالَ لاَ نَجَوْت إنْ نَجَا. قَالَ: ثُمّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَنْصَارَ اللَّهِ رَأْسُ الْكُفْرِ

أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ وَأَنَا أَذُبّ عَنْهُ. قَالَ فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ فَضَرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطّ. قَالَ: فَقُلْت: انْجُ بِنَفْسِك، وَلاَ نُجَاءَ بِك فَوَاَللَّهِ مَا أُغْنِي عَنْك شَيْئًا. قَالَ فَهَبِرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُمَا (٢٥).

وصدق من قال: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١].

بلال ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ :

جاء في (أسد الغابة) لابن الأثير أنه لما توفي رسول الله ﷺ أراد أن يخرج إلى الشام، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي، فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله ﷻ فذرني أذهب إلى الله ﷻ فقال: اذهب، فذهب إلى الشام، فكان به حتى مات. وقيل: إنه أذن لأبي بكر ﷺ بعد النبي ﷺ والله أعلم (٣).

جاء في (سير أعلام النبلاء) للإمام شمس الدين الذهبي أن سعيد بن عبد العزيز قال: لما احتضر بلال قال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه! (٢٤).

وصدق النبي ﷺ حين قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (حم ق ت ن) وصححه الألباني في ص. ج ٥٩٦٤

اللقاء الإيماني التاسع والخمسون:

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين (٥٩)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن من شروط الاستخلاف والتمكين أن تكون العبودية لله وحده ولذلك فقد أدرك المؤمنون أن هذه العبودية يجب أن تكون لله، وأن لا يكون منها شيء للمخلوق.

فالإنسان حر طليق إلا أنه عبد لله ﷻ؛ لأنه يعلم أن الحياة والموت بيد الله وأن الرزق بيد الله{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا} [هود:٦].

وأن الأرض ملك لله يورثها من يشاء من عباده، وأن ما في هذه الأرض من الطيبات إنما هي للمؤمنين، يشاركهم فيها الكافرون في الحياة الدنيا ويختص بها المؤمنون في الحياة الآخرة، يقول ﷻ :{قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الأعراف:٣٢].

ولقد كان سلفنا الصالح يعتزون بالعبودية لله، فهذا الفضيل بن عياض رحمة الله عليه عندما كان يعيش حياة منحرفة مدة من الزمن فأنقذه الله ﷻليكون عبداً له بدلاً من أن يكون عبداً للشهوات، وذلك عندما كان يتسلق داراً ليسرقها فسمع قارئاً يقرأ في الدار:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد:١٦].

فقال: والله لقد آن، فصار مع كل جزء من هذه الآية ينزل درجة من السلم ويقول: والله لقد آن (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (لا يقال : اللهم اغفر لي إن شئت)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما

بعد..

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللهمَّ ارْحَمْنِي، إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ- أي يلحّ على الله في الدعاء-؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ» (١).

إخوتي في الله، إن الذي يدعو الله تعالى يجب أن يعزم الدعاء، ولا يعلّقه بالمشيئة، لأنّه إذا علّقه بالمشيئة تضمّن ذلك أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ هذا يدلّ على فُتوره في طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى، كأنّه غنيّ عن الله.

والأمر الثاني: كأنّه يرى بأن الله جل وعلا قد يُجيب الدعاء وهو كاره، والله جل وعلا لا مُكْره له، يعطي سبحانه وتعالى ما يشاء ما لا يعلمُه إلاّ هو، بلا حصر ولا حساب، ولا تنفد خزائنه، كما في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» (٢) (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (وصف النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، وصف الله ﷻ النار بأن وقودها الناس والحجارة وعليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(٦)} [التحريم:٦].

وقال تعالى: {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٨٠، و(م) ٢٦٧٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٧٧.

عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)} [الزمر: ١٦].

فأخبر الله ﷻ أن أولئك الخاسرين لهم يوم القيامة في جهنم مِن فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظُّلل المبنية، ومن تحتهم كذلك.

وقال تعالى{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)} [الأحزاب:٦٦].

وقال تعالى:{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)} [القمر: ٤٨].

المعنى : يوم يُجرُّون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم.

وقال تعالى:{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً(٦٦)} [الفرقان:٦٥، ٦٦].

المعنى: والذين هم مع اجتهادهم في العبادة يخافون الله فيدعونه أن ينجيهم من عذاب جهنم، إن عذابها يلازم صاحبه. إن جهنم شر قرار وإقامة.

وقال تعالى : { إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (١٤)} [الفرقان :١٢-١٤].

المعنى : إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد، سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيظها منهم. وإذا أُلقوا في مكان شديد الضيق من جهنم- وقد قُرِنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم- دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها. فيقال لهم تيئيسًا، لا تَدْعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًّا، فلا خلاص لكم.

وأخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» (١).

أخي في الله، هل حسبت عدد الملائكة الذين يجرون نار جهنم إلى أرض المحشر يوم القيامة إنه تقريبا ٤.٩٠٠٠٠٠٠٠٠ ملك، الله أكبر ! لو تركت هذه النار على أهل المحشر عباد الله لأتت على برهم وفاجرهم..، فلا إله إلا الله..

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٤٢.

* * *

رجل صوته في الجيش خير من ألف رجل (أبو طلحة الأنصاري ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لرجل صوته في الجيش خير من ألف رجل. إنه الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري ﷺ، وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام، الخزرجي النجاري، صاحب رسول الله ﷺ، ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدريين، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، روى عنه ربيبه وأنس بن مالك، وآخرون (٢٤).

قصة إسلام أبي طلحة ﷺ من أم سليم:

أخرج النسائي في السنن عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا، قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الإسلام فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ [١]. إنه نموذج فريد لامرأة تنازلت عن حقها المادي، واشترطت مهرها الإسلام لإنقاذ رجل من براثن الشرك وغياهب الضلال، واجتذبته إلى نور الهدى، فنالت أجره وثوابه، فليكن من هذا الموقف لكِ أُختي الداعية منطلقاً في ترغيب النساء باختيار الكفء من الرجال (٣٨).

قصة أم سليم مع أبي طلحة ﷺ يوم أن مات ابنه:

جاء في صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لاَ تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لاَ قَالَتْ:

(١) (صحيح) أخرجه (ن) ٣٣٤١ وصححه الألباني.

فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا (١).

وبعض النساء يهملن زينتهن بعد الزواج انطلاقًا من فهم خاطئ لوظيفة هذه الزينة، فبعض الفتيات يعتقدن أن الخطوبة والأيام أو السنوات الأولى من الزواج هي فترة التجمل والتزين، وإذا حدثتهن عن أن الزينة من حسن التبعل للزوج أجبن: "كبرنا على ذلك"، هؤلاء ينسين أن تزين المرأة لزوجها يجب ألا يصرفها عنه صارف إلا ما أقره الشرع كالحداد على قريب مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام، فهذه أم سليم تتزين لزوجها في يوم موت ابنها (٦١).

طعام أبي طلحة ﷺ لرسول الله ﷺ والجيش يوم الخندق:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ - أي أدخلته بقوة - تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ - أي لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه -، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «آرْسَلَكِ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «بِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا»، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ»، فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً - أي وعاء من جلد يوضع فيه السمن - فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٤٤.

خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً [1].

من فوائد هذه القصة:

١- الحب الشديد لأبي طلحة ﷺ لرسول الله ﷺ.

٢- يقين أم سليم بأن الله ورسوله أعلم.

وهذه القصة من دلائل نبوة رسول الله حيث تزايد طعام بضعة رجال ليكفي سبعين أو ثمانين رجلاً ببركة النبي ﷺ.

مناقب أبي طلحة ﷺ :

روى الحاكم في المستدرك عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :**«لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»** [2].

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنْ النَّاسِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ - أي مترس عنه ليقيه سلاح الكفار - قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ - أي كنانة السهام- مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لاَ تُشْرِفْ - أي لا تتطلع- لاَ يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.. وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاَثًا مِنْ النُّعَاسِ - أي لئلا يوهنهم الغم والخوف -[3].

فَرَضِيَ اللهُ عن أبي طلحة وأرضاه، ما أَغلَى مَا فَدَى بِهِ رَسولَ اللهِ، فَدَاهُ بِنَحرِهِ وَوَقَاهُ بِصَدرِهِ، وَجَعَلَ نَفسَهُ حَائِطًا يَصُدُّ سِهَامَ القَومِ عَن جَسَدِ الحبيبِ، أَخي في الله، هل دافعت عن حبيبك محمد ﷺ إذ رأيت بعض الكفار يستهزئون به وذلك باتباعك لسنته والدعوة إليها، ومقاطعة منتجات كل من أساء إليه؟

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٣٨٥ و (م) ٢٠٤٠ واللفظ للبخاري.

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠٨١.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٨١١.

قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ ﷺ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)} [آل عمران: ٩٢]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ(١).

أخي في الله، يتضح من هذا الحديث أن أبا طلحة كان ممن يسارعون في الخيرات بتفعيل كل ما ينزل من القرآن، وكذلك ممن يطيع رسول الله ﷺ في كل أمره بدون تردد، لذلك إذا أردت أن تخرج صدقة في سبيل الله فابدأ بالأقارب فإنهم أولى بالمعروف، وإذا كانوا فقراء تصبح صدقة وصلة، وإذا كانوا أغنياء اذهب إلى الفقراء والمحتاجين.

موت أبي طلحة ﷺ :

أخرج الحاكم في المستدرك بسند صحيح عن أنس ﷺ، أن أبا طلحة ﷺقرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية{انفروا خفافا وثقالا} [التوبة: ٤٢]، فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهزوني فجهزوه وركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير، إنها لكرامة لأبي طلحة حفظ الله تعالى في حياته فحفظ الله تعالى جثته بعد موته.

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢١٩٣ ، و(م) ٩٩٨ واللفظ للبخاري .

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الستون:

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٦>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من شروط الاستخلاف والتمكين تمام العبودية لله عز وجل فلقد كان سلفنا الصالح يعتزون بالعبودية لله تعالى، فهذا بشر الحافي في التاريخ بعد أن هداه الله، كان بِشْرٌ رجلاً فاسقاً من أبناء الأشراف، وورث مالاً كثيراً، وكان شاباً مترفاً يعيش ليله مع نهاره في معصية الله ﷻ، تدار كئوس الخمور في داره حتى الهجيع الأخير من الليل، كما يحدث لكثير من الناس، نسأل الله العافية والسلامة، فالراقصات والمغنيات واللهو واللعب في داره إلى الصباح، وكان في حياة أشبه ما تكون بالغيبوبة لم يفهم معنى العبودية، فأراد الله له الهداية، فمر ذات يوم بداره إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه الرجل الصالح، فتمزق قلب إبراهيم بن أدهم حينما سمع اللهو واللعب وكئوس الخمر تدار في بيت رجل يقول: إنه من المسلمين.

فقرع إبراهيم بن أدهم باب بشر، ففتحت له إحدى الراقصات فقال: هذا بيت من؟ قالت: بيت بشر.

قال: بالله أخبريني أبشر حر أم عبد؟ فتأمل كيف تصل الموعظة إلى قلوب الناس الأشقياء إذا أراد الله ﷻ لهم السعادة والهداية، قالت: لا، بل هو حر.

قال: قولي له: إن كان حراً فليفعل ما يشاء، وانصرف الرجل، فلما رجعت الراقصة سألها بشر: من كان عند الباب؟ قالت: رجل صفته كذا.

قال: ماذا قال؟ قالت: سأل عنك أحر أنت أم عبد؟ قال: وماذا قلت له؟ قالت: قلت له: إنك حر.

قال: وماذا قال؟ قالت: قال: إن كان حراً فليفعل ما يشاء.

بدأ بشر يفكر في معنى العبودية والحرية، فالناس لا يتصورون الرق إلا للعبد المملوك الذي يباع ويشترى، ثم قال: أين ذهب الرجل؟ قالت: من هنا، فمشى حافياً لأول مرة في حياته يركض وراء إبراهيم بن أدهم فلحقه، فقال:

قف يا رجل، ماذا تقول؟ قال: أبداً يا بشر، وإنما سألت عنك أحر أنت أم عبد؟ فقالوا: إنك حر، فقلت: إن كنت حراً فافعل ما تشاء.

قال: ويحك يا رجل! ماذا تقول؟ قال: لا أقول أكثر من ذلك، يا بشر! إن كنت حراً فافعل ما تشاء، وإن كنت عبداً فليست هذه صفة العبيد لله.

فصار يضرب برجله الأرض ويقول: والله إني لعبد، والله إني لعبد.

تصور أن هذه العبودية أنقذته من ذلك الرق، فرجع إلى بيته يكسر زجاجات الخمر ويسرح المغنيات ليكون بشراً الحافي الذي لا ترد كلمة بشر إلا ويتصور الناس منتهى الورع والتقى والاستقامة على دين الله (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (لا يُرَدُّ من سأل بالله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

أخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

إخوتي في الله، السؤال بالله جائز، قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} ومعنى{تَسَاءَلُونَ بِهِ} يعني: يسأل بعضُكم بعضاً بالله، وفي هذا الحديث: "مَن سأل بالله فأعطوه" فدلّ على جواز السّؤال بالله.

لكن من سُئل بالله لا يجوز له أن يردّ السائل إجلالاً لله سبحانه وتعالى. قول رسول الله ﷺ: "مَن سأل بالله" كأن يقول: والله لتُعطينّي هذا الشيء، ولكن هذا فيه تفصيل؛ فإذا سأل بالله شيئاً له فيه حقّ وجب إعطاؤه، أو كان مضطّراً فإنّه له الحق في أنْ يأخُذ من مال غيرِه ما يدفع ضرورته.

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ن حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٢١.

أما إذا سأل شيئاً ليس له فيه استحقاق، وهو ليس محتاجاً ولا مضطراً؛ فهذا يستحبّ للمسؤول أن يُعطيَه، فإن لم يعطِه في هذه الحالة الأخيرة يكون فاعلاً لمكروه، وإذا أعطاه كان فاعلاً لمستحبّ (٦).

من فوائد هذا الحديث لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى :

١- المشروع لأهل الإيمان أن يعطوا من سأل بالله تعظيماً لله عز وجل وقد جاءت أحاديث تدل على كراهة السؤال بالله لما فيه من التشديد على الناس ولكن من سأل حقاً له كالزكاة وحقه في بيت المال أو كان مضطراً وجب أن يعطى وأما إذا كان غير ذلك فالأفضل أن يعطى ولا ينبغي له أن يسأل بالله عملاً بالأحاديث الدالة على كراهة ذلك.

٢- من استعاذ بالله شرع أن يعاذ، فالمقصود أن من استعاذ بالله فإنه يشرع أن يعاذ إذا كان ليس حقاً عليه أما إذا كان يستعيذ بالله في إسقاط حق عليه فلا، ولا يجوز أن يستعاذ بالله في ترك الحقوق فيقول :أعوذ بالله أن تلزموني بالصلاة أو بأداء الحقوق عليَّ.

٣ - قوله «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» يشرع إجابة الدعوة سواء كانت لعرس أو لغير عرس وأهمها وأعظمها دعوة العرس، فالواجب أن تجاب الدعوة إلا أن يكون بها مانع أو يكون له مانع كأن يكون مريضاً أو بعيداً فيشق عليه الحضور للدعوة أو كانت الدعوة بها منكر كالأغاني والملاهي وشرب الخمر، أما إذا كانت الدعوة مستقيمة وكان المدعو مستطيع وجب أن يجيب أو تأكد على الأقل لقوله صلى الله عليه وسلم «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ».

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أبواب النار وركاتها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)} [الحجر:٤٤].

المعنى: وإن النار الشديدة لَموعدُ إبليس وأتباعه أجمعين، لها سبعة أبواب

كل باب أسفل من الآخر، لكل بابٍ مِن أتباع إبليس نصيب بحسب أعمالهم.

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥)} [النساء:١٤٥].

وقال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَة (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ(٩)} [الهمزة: ٥- ٩].

المعنى: وما أدراك - أيها الرسول - ما حقيقة النار؟ إنها نار الله الموقدة التي من شدتها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب. إنها عليهم مطبَقة في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لئلا يخرجوا منها.

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن عتبة بن عبد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب» (١).

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (٢).

* * *

أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان ﷺ <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأمين سر رسول الله ﷺ إنه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ وهو حذيفة بن حسل بن جابر، واليمان لقب حسل بن جابر، وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين؛ أعلمه بهم رسول الله ﷺ وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين قال: نعم واحد قال: من هو قال: لا أذكره. قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات أحد

(١) (صحيح) أخرجه (ابن سعد) وصححه الألباني في ص.ج ٣١١٩

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٤٤

يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، وشهد حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية؛ وكان فتح همذان والري والدينور على يده وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها، وكان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه (٣).

حذيفة بن اليمان ﷺ يوم بدر:

جاء في صحيح مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ»(١).

هذه صورة مشرقة في حرص النبي ﷺ لحفظ العهود وتربية أصحابه على تطبيق مكارم الأخلاق الرفيعة وإن كان في ذلك إجحاف بالمسلمين ومفوت لهم جهد بعض أفراد المجاهدين (٢٦).

أحبتي في الله، ائتوني بلغة على وجه الأرض تجسد هذا الوفاء! هذا هو ديننا، وهذه هي أخلاق نبينا (٤٥).

حذيفة بن اليمان ﷺ يوم أحد:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ فَصَاحَ إِبْلِيسُ أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ - أي احذروا الذين من ورائكم متأخرين عنكم، والخطاب للمسلمين أراد اللعين تغليطهم ليقاتل المسلمون بعضهم بعضا، فرجعت الطائفة المستقدمة قاصدين لقتال من خلفهم ظانين أنهم من المشركين، ويحتمل أن يكون للكافرين أي فاقتلوا أخراهم- فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ - أي تقاتلت الطائفتان المسلمتان - فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ: أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا - أي ما امتنعوا منه - حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ الله لَكُمْ. قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٨٧.

خَيْرٍ - أي بقية دعاء واستغفار لقاتل أبيه، وقيل: ما زال فيه شيء من حزن على قتل أبيه من المسلمين - حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ [1].

وهذا موقف عظيم لحذيفة بن اليمان ﷺ حيث تصدق بدية والده على المسلمين، ودعا لهم بالمغفرة لكونهم قتلوا والده خطأً (٢٦).

حذيفة بن اليمان ﷺ يوم الخندق:

جاء في مسند الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟» فَمَا قَامَ رَجُلٌ ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي: «فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ، لاَ تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ وَلاَ نَارٌ وَلاَ بِنَاءٌ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ ثُمَّ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ بَلَغَنَا مِنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلاَثٍ فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلاَّ وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلاَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣١١٦.

قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحَّلٍ، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ (١).

الإخوة الفضلاء، هذا تابعي يلتقي بالصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه ويتخيل أنه لو وجد مع رسول الله ﷺ لاستطاع أن يفعل ما لم يفعله الصحابة الكرام، والخيال شيء والواقع شيء آخر، والصحابة ﷺ بشر، لهم طاقات البشر، وقدراتهم، وقد قدموا كل ما يستطيعون، فلم يبخلوا بالأنفس فضلاً عن المال والجهد، وقد وضع رسول الله ﷺ الأمور في نصابها بقوله: خير الناس قرني، فبين أن عملهم لا يعدله عمل، فالذين جاءوا من بعد وجدوا سلطان الإسلام ممتداً، وعاشوا في ظل الأمن والرخاء والعدل، بعيدين عن الفتنة والابتلاء، هم بحاجة إلى أن يستشعروا أجواء الماضي بكل ما فيه وبعد ذلك يمكنهم تقدير الجهد المبذول من الصحابة حتى قام الإسلام في الأرض (٢٦).

حذيفة بن اليمان أعلم الناس بمواقع الفتن:

روى البخاري في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٢).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم) ٢٣٣٨٢ وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٦٧٣.

* * *

اللقاء الإيماني الحادي والستون:

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من شروط الاستخلاف والتمكين تمام العبودية لله ﷻ، فلقد كان سلفنا الصالح يعتزون بالعبودية لله، فهذا عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ ورحمه الذي يثني عليه التاريخ ثناءً عاطراً؛ لأنه فهم معنى العبودية، حين وقع في أسر الرومان في موقعة في زمن عمر كان الرجل الصائم العابد الراكع الساجد في جنح الليل المظلم وهو في معتقله في بلاد الروم، فذكرت بعض صفاته من عبادته وتقواه وصلاحه وعقله ورزانته لملك الروم، فقال قيصر الروم: مثل هذا لو دخل في ديني لكان مكسباً عظيماً.

فدعا عبد الله بن حذافة ﷺ، فجيء به وأوقف بين يديه وقال له قيصر: يا عبد الله! لو تنصرت لشاطرتك ملكي.

يريد أن يصرفه من عبودية الله إلى عبودية الملك والمركز الذي يسيل له لعاب كثير من الناس، ولربما يرتدون عن الإسلام لما هو أصغر من ذلك بكثير، فقال: والله لو كانت لي الدنيا بأسرها ما تركت شيئاً من ديني.

إذاً العبودية للمركز والملك فشلت، فلم يتنازل عن شيء من دينه ليكون مشاطراً لقيصر الروم في ملكه؛ لأنه ملأ قلبه بالعبودية لله ﷻ، فما استطاع هذا القلب أن يستوعب مكاناً آخر غير الله ﷻ، فقال قيصر الروم: ردوه إلى معتقله ودلوني على طريق أكسب به هذا الفتى.

فقالوا: إنه بعيد عن أهله منذ أشهر وإنه شاب قوي، ولو فتنته بالشهوة لأصبح عبداً لها.فقال: ائتوني بأجمل فتاة في بلادي.

فجيء بأجمل فتاة في بلاد الروم وأغريت كل الإغراء إن هي فتنت عبد الله ابن حذافة، فدخلت الفتاة وتجردت من كل ملابسها، وصارت تتابعه بجسدها المترف، وكلما دنت منه ابتعد عنها وأغمض عينيه، وأقبل على القرآن يتلوه

ويستعيذ بالله من شرها، وصارت هذه الفتاة تتابعه جهة جهة حتى يئست منه، وعرفت أنه قد امتلأ قلبه بالعبودية لله ﷻ، فقالت: أخرجوني.فقابلها شياطين الإنس عند الباب وقالوا لها: ماذا حدث؟ قالت: والله لا أدري أعلى بشر أدخلتموني أم على حجر؟.

تحير قيصر الروم في أمر هذا الشاب فقال: لابد من أن تدلوني على سبيل أفتن به هذا الرجل. فقيل له: كل الناس يخافون من الموت.

لكن عبد الله بن حذافة لا يخاف من الموت ومن هم على شاكلته لا يخافون من الموت؛ لأنهم يعرفون أن الموت لا يأتي إلا بأجل معلوم (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في اللو)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

قال تعالى:{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران:١٦٨].

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

الإخوة الفضلاء، المراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه. ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٦٤.

اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله.

فإن (لو) تفتح عمل الشيطان لما فيه من التحسر على ما فات ولوم القدر وذلك ينافي الصبر والرضى، فالصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض (٣١).

وخلاصة الأمر أنه لا ينبغي استعمال كلمة "لو" بمعارضة القدر عند مرض أو موت قريب أو غير ذلك، فأمر الله وقدره نافذ وإنما شرع الأسباب لحكمة بالغة، والأسباب إذا تعاطاها المؤمن ونزل القضاء فليس له أن يعترض بعد ذلك بل يجب التسليم والصبر.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أودية جهنم وسجنها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(٥٩)} [مريم:٥٩].

المعنى: فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها، أو ضيعوا وقتها أوأركانها وواجباتها، واتبعوا ما يوافق شهواتهم، فسوف يلقون شرًا في جهنم.

وقال تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ(٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ(٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ(٧)} [الماعون: ٤-٧].

المعنى: يدخل المصلون الذين لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها وادي ويل الذي فيه صديد أهل النار، والذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مراءاة للناس. ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها.

وقال تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)} [غافر: ٦٩-٧٢].

المعنى : هؤلاء المشركون الذين كذَّبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم. حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب. في الماء الحار الذي اشتدَّ غليانه وحرُّه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

وقال تعالى:{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (٣٢)} [الحاقة: ٣٠-٣٢].

المعنى: يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها.

أخرج النسائي والترمذي في سننهما عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ- أي النمل- فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»[1].

* * *

أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان ﷺ <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع سيرة أمين سر رسول الله ﷺ العطرة فهيا بنا.

حذيفة بن اليمان ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ :

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد: أَنّ النَّبِيّ ﷺ أَسَرَّ إِلَى حُذَيْفَةَ أَسْمَاءَ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ وَبِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِحُذَيْفَةَ إنَّهُ صَاحِبُ السِّرّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ، وَلاَ غَيْرُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ وَكَانَ إذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَشَكّوا فِيهِ يَقُولُ عُمَرُ: أُنْظُرُوا فَإِنْ صَلّى عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ وَإِلاَّ

(١) (حسن) أخرجه (ن ت) وحسنه الألباني في صت ٢٩١١.

فَهُوَ مُنَافِقٌ مِنْهُمْ الثَّانِي.

من جهاده ﷺ في فتح العراق:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى : كتب عمر ﷺ إلى نائب الكوفة عبد الله بن عبد الله أن يعين جيشا ويبعثهم إلى نهاوند، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان ابن مقرن، فإن قتل النعمان، فحذيفة، فإن قتل فنعيم بن مقرن، وولي السائب بن الأقرع قسم الغنائم، فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان ابن مقرن ليوافوه بماه، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق وقد أرصد في كل كورة ما يكفيها من المقاتلةَ، وجعل الحرس في ناحية واحتاطوا احتياطا عظيما ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في هذه الوقعة فكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفا من المقاتلةَ.

فسار الناس نحو نهاوند، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة، وهو في مائة وخمسين ألفا، فلما تراءا الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعبا شديدا، وحمل وحمل الناس على المشركين، وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة حتى تصافحوا بالسيوف، فاقتتلوا قتالا لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ولا سمع السامعون بوقعة مثلها، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق وجه الأرض دما بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد وقيل نعيم وقيل غطاه بثوبه وأخفى موته، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان فأقام حذيفة أخاه نعيما مكانه وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس، فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفا بالسلاسل، وحفروا حولهم خندقا فلما انهزموا وقعوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف وجعلوا يتساقطون في اودية بلادهم، فهلك منهم

بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة ولم يفلت منهم إلا الشريد (٨).

انظر إلى استجابة القواد لتعليمات عمر ﷺ فهل لنا أن نستجب لأمرائنا في

المعروف وصدق من رسول الله ﷺ حين قَالَ: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي »[١].

حذيفة بن اليمان سببا في جمع القرآن في مصحف واحد:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق - أي وكان عثمان ﷺ يجهز جيشا من أهل الشام والعراق لغزو أرمينية وأذربيجان - فأفزع حذيفة اختلافهم - أي اختلاف أهل الشام وأهل العراق - في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف [٢].

فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فما نحن فيه من انتشار القرآن في ربوع المعمورة إلا بهذا الرأي المبارك وهذا الجهد الميمون.

وفاة حذيفة بن اليمان ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا: أي ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو آخر الليل فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار ثم قال: أجئتم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم قال: فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا

(١) (صحيح) أخرجه (ق حم ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٤٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٠٢.

منها وإلا يسلب سلبا، قال أهل السير: مات حذيفة بعد قتل عثمان ﷺ بأشهر (٢٨).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثاني والستون:

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٨>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من شروط الاستخلاف والتمكين عدم الشرك بالله، فلا شرك لمخلوق حي ولا ميت، ولا لضريح ولا لملك ولا لزعيم ولا لرئيس ولا لمشرع كما يقولون، ولا لصاحب قانون ولا لصاحب نظام مع الله ﷻ، ولو كانت كل وسائل الهلاك والعذاب بيد هذا المخلوق؛ إذاً الشرك بالله ﷻ أياً كان هذا الشرك لا يجوز، سواء أكان شرك الأحياء كالذين يشرعون القوانين والأنظمة ويتقبلها البشر، وينسون أن الله تعالى يقول: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا} [النساء:٦٠].

أم كان شرك الطاعة في معصية الخالق سبحانه وتعالى، كما قال الرسول ﷺ حينما أنزل الله ﷻ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة:٣١]، فقال عدي بن حاتم: يا رسول الله! والله ما كنا نعبدهم، قال: أليسوا يَحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله فتطيعونهم؟ قال: بلى قال: فتلك إذاً عبادتهم.

إذاً كلمة توحيد الله ﷻ تستلزم أن يقدم المسلم أوامر الله على أوامر المخلوقين، فإذا توافقت أوامر المخلوقين مع أوامر الله ﷻ فحينئذ نقبل أوامر المخلوقين ما دامت لا تتنافى مع أوامر الله ﷻ، وإذا تنافت أوامر المخلوقين مع أوامر الله ﷻ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في سب الريح)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

روى الترمذي عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ» (١).

إخوتي في الله، الرّياح إنّما هي بأمر الله سبحانه وتعالى فقد يُرسلها بالخير قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ} [الأعراف:٥٧]، وقد يُرسلها أيضاً بالشرّ والعذاب، كما أرسلها على عاد: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ الرَّمِيمِ(٤٢)} [الذاريات:٤١].

كلّ هذا بأمر الله سبحانه وتعالى، فينبغي أن ينسب الإنسان الأشياء إلى الله وأنّ الله هو الذي قدّرها بسبب فعله عقوبة له، وأوجدَها وهو الذي أمرها بذلك، فهي مأمورة مدبّرة (١٢).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (طعام أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(٤٦)} [الدخان:٤٣-٤٦].

المعنى: إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام صاحب الآثام الكثيرة، وأكبر الآثام الشرك بالله، وهي تغلي في بطون المشركين كالمَعْدِن المنصهر.

وقال تعالى: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ(٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصافات:٦٢-٦٨].

---

(١) (صحيح) أخرجه (ت) ٢٢٥٢ وصححه الألباني في مش ١٥١٨ .

المعنى: أذلك الذي سبق وصفه مِن نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟ إنا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر. إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًّا، ثم إن مردَّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.

وقال تعالى:{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ{٦} [الغاشية:٦].

المعنى: ليس لأصحاب النار طعام إلا من ضريع وهو نبات شائك لاصق بالأرض.

وقال تعالى:{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦)} [الحاقة:٣٦].

المعنى: فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب، وليس له طعام إلا مِن صديد أهل النار.

وقال تعالى:{إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً (١٢) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً (١٣)} [المزمل:١٢-١٣].

المعنى: إن لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ونارًا مستعرة يُحرقون بها، وطعامًا كريهًا ينشَب في الحلوق لا يستساغ، وعذابًا موجعًا.

* * *

أبو المساكين (جعفر بن أبي طالب ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأبي المساكين الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب أبي عبد الله الهاشمي ﷺ، الطيار في الجنة، ذي الجناحين، صاحب الهجرتين، استشهد بمؤتة في حياة رسول الله ﷺ

أميرا، سنة ثمان في جمادى الأولى، شبيه رسول الله ﷺ خلقا وخلقا، وكان النبي ﷺ يسميه أبا المساكين، كان أسن من عليٍّ بعشر سنين، وكان عقيل أخوه أسن من جعفر بعشر سنين (٣٦).

مناقب جعفر ﷺ:

جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، - أي في روايته للحديث - وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي- أي رضيت بشبع بطني، ولم أطلب زيادة على ذلك فتهيأ لي من سماع حديثه ما لم يتهيأ لغيري-، حَتَّى لاَ آكُلُ الْخَمِيرَ - أي الخبز الذي خمر وجعل في عجينه الخميرة- وَلاَ أَلْبَسُ الْحَبِيرَ- أي الجديد-، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ - أي بالأرض- مِنْ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِي كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ - أي وعاء من جلد يجعل فيه السمن -الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا [1]، فرضي الله عنه؛ يخرج العكة وليس فيها شيء إلا البقايا على جدرانها وأطرافها، فيشقها ليلعق ضيوفه ما فيها، فالداعية إلى الله كريم، بل ينبغي أن يكون بيته مفتوحاً للمساكين والفقراء، وأن يتخذ الإكرام وسيلة للدعوة، وقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يجعل من إكرامه للناس وسيلة لاستمالة قلوبهم، كان يجيز الضيف ويعطيه، وإذا فتح الله عليه بشيء وزعه على الناس يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، حتى كان ذلك سبباً في إزالة الشحناء من قلوب كثير من أعدائه، ودخول الألداء من خصومه في دين الله سبحانه وتعالى (٤٧).

هجرة جعفر ﷺ إلى الحبشة :

جاء في(الرحيق المختوم) : عز على المشركين أن يجد المهاجرون- من المسلمين إلى الحبشة في الهجرة الثانية - مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جلدين لبيبين، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة -أي قبل أن يسلما - وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٠٥.

الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمين، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدما له الهديا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم. ولكن رأى النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعًا. فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان. فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده،لا نشرك به شيئًا،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر:

نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرًا من:{كهيعص} فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخْضَلُوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون - يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه - فخرجا، فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غدًا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، ولكن أصر عمرو على رأيه.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق، كائنًا ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول.

فأخذ النجاشي عودًا من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن نَخَرْتُم والله.

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شُيُومٌ- أي آمنون- بأرضي من سَبَّكم غَرِم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم - والدبر: الجبل بلسان الحبشة،ثم قال لحاشيته: ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه (١٩).

ولقد امتازت شخصية جعفر ﷺ بعدة أمور جعلتها تتقدم لسد هذه الثغرة العظيمة منها؛ فجعفر ألصق الناس برسول الله ﷺ فقد عاش معه في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة، وهذا الموقف بين يدي النجاشي يحتاج لفصاحة، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئناناً وثقة بما يعرض عن ابن عمه (٢٦).

عودة جعفر ﷺ من الحبشة:

أخرج الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما قدم جعفر

بن أبي طالب من أرض الحبشة قال رسول الله ﷺ :«ما أدري بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» [1]، ولعلنا نتساءل كيف كافأ رسول الله ﷺ هذا القادم بعد هذا الغياب الطويل كافأه بأن أتاح له الفرصةً مرة أخرى ليعمل للدين ويقدم للدين، فيعين النائب الأول للسرية المتوجهة لغزوة مؤتة ويذهب حفيا فرحا بفرصة المشاركة للعمل للدين، فحياته كلها أوقفها لله عز وجل، أخي في الله، هل حاسبت نفسك على ما قدمت لدين الله تعالى، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله سبحانه؟

غزوة مؤتة واستشهاد جعفر ﷺ :

جاء في(سيرة بن هشام) مختصرا أن ابْنَ إسْحَاقَ قال: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزّبَيْرِ رضي الله عنهما

بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَعْثَةً إلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ: إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النّاسِ.فَتَجَهّزَ النّاسُ ثُمّ تَهَيّئُوا لِلْخُرُوجِ وَهُمْ ثَلاَثَةُ آلاَفٍ، فَلَمّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدّعَ النّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَسَلّمُوا عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ النّاسَ أَنّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَآبَ، مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، فِي مِئَةِ أَلْفٍ مِنْ الرّومِ، وَانْضَمّ إلَيْهِمْ مِنْ لَخْم وَجُذَامٍ وَالْقَيْنِ وَبَهْرَاءَ وَبَلِي مِئَةُ أَلْفٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيّ ثُمّ أَحَدُ إرَاشَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ.

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَمَضَى النّاسُ حَتّى إذَا كَانُوا بِتُخُومِ الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْلَ مِنْ الرّوم وَالْعَرَبِ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارِفُ، ثُمّ دَنَا الْعَدُوّ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةُ. فَالْتَقَى النّاسُ عِنْدَهَا: ثُمّ الْتَقَى النّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ حَتّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ، وقَالَ ابْنُ هِشَام: إنّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقُطِعَتْ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْهِ حَتّى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً فَأَثَابَهُ اللّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ. وَيُقَالُ: إنّ رَجُلاً مِنْ الرّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَعَهُ بِنِصْفَيْنِ (٢٥). إنها لشخصية مباركة عاشت وماتت من أجل هذا الدين جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) (حسن) أخرجه (ك) وحسنه الألباني في فقة السيرة صفحة ٣٤٧/١.

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثالث والستون:

(الجزاء الدنيوي لمن نفذ شروط التمكين ١)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، وعد الله الاستخلاف، والتمكين، والأمن بعد الخوف للذين يحققون شروط التمكين، قال تعالى:{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:٥٥]، وهذه الأمور يفرح بها كل الناس حتى الكفرة والعصاة والملاحدة، فجميعهم يريدون هذه الأمور الثلاثة، وهي الاستخلاف في الأرض، والتمكين للدين الذي ارتضاه الله لهم، والطمأنينة في هذه الحياة، لكنها لا تكون إلا للمؤمنين الذين ينفذون الشروط الأربعة المذكورة في الآية وهي: آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، يَعْبُدُونَنِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، أما الاستخلاف في الأرض فهو أن تكون السلطة بأيدي هذه الأمة بدلاً من أن تكون السلطة بأيدي الكافرين الذين يسومون المسلمين سوء العذاب، كما يوجد في كثير من البلاد الإسلامية اليوم، يتسلط الكفار على المؤمنين وطغاة البشر على الأتقياء فيسومونهم سوء العذاب، وهذا الاستخلاف لم يكن للأمة الإسلامية في صدرها الأول كما كان الحال في الحياة المكية التي عاشها المسلمون، لقد كان الأذى يصب على رءوس المؤمنين صباً؛ فلقد اشتدت الحياة في مكة على المسلمين، حتى أنزل الله ﷻ وصفاً دقيقاً لتلك الحياة:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:١٤٢].

وقوله تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ} [البقرة:٢١٤]، ثم يأتي النصر:{أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ} [البقرة:٢١٤]، تلك الحياة التي صورها لنا خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ فَقَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ

الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١) (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله<١>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

قال تعالى: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران:١٥٤].

إخوتي في الله، هذه الآية ذكرها الله في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد، ثم كان من رحمة الله بالمؤمنين المخلصين أن ألقى في قلوبهم من بعد ما نزل بها من همٍّ وغمٍّ اطمئنانًا وثقة في وعد الله، وكان من أثره نعاس غَشِي طائفة منهم، وهم أهل الإخلاص واليقين، وطائفة أُخرى أهمَّهم خلاص أنفسهم خاصة، وضَعُفَتْ عزيمتهم وشُغِلوا بأنفسهم، وأساؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه، وظنوا أن الله لا يُتِمُّ أمر رسوله، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة، ولذلك تراهم نادمين على خروجهم، يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟ قل لهم - أيها الرسول -: إن الأمر كلَّه لله، فهو الذي قدَّر خروجكم وما حدث لكم، وهم يُخْفون في أنفسهم ما لا يظهرونه لك من الحسرة على خروجهم

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٥٤٤.

للقتال، يقولون: لو كان لنا أدنى اختيار ما قُتِلنا هاهنا. قل لهم: إن الآجال بيد الله، ولو كنتم في بيوتكم، وقدَّر الله أنكم تموتون، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يُقتلون، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال. والله عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم (٣١).

وخلاصة الأمر أن كثيرًا من الناس لا يسلّم لله حكمته وقدره السابق، بل يسيء الظن بالله عز وجل فيظن أن ما وقع من الأشياء التي تخالف هواه أنه لم يكن عن حكمة وعن قدر سابق، ومنهم من يظن أنه لمجرد المشيئة لا عن حكمة، ومنهم من يظن أن الله قد جار على عباده وظلمهم فأفقر فلاناً وأمرض فلاناً، والمنافقون ظنوا بالله ظن السوء من جهة أن الله لا ينصر أولياؤه ورسوله، ومن جهة أن أفعال الله لا تقع عن حكمة بل لمجرد المشيئة المجردة، ففتش في نفسك هل أنت هل أنت سالم من هذه الأمور أم لا ؟.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (شراب أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً (٢٩)} [الكهف:٢٩].

وقال تعالى: {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)} [إبراهيم: ١٦-١٧].

وقال تعالى: {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ (١٥)} [محمد:١٥].

وقال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)} [ص:٥٧-٥٨]، ولقد ذكر في هذه الآيات أربعة أشربة لأهل النار وهم: المهل والصديد والحميم و الغساق.

أولا: المهل: قال مجاهد بماء كالمهل، مثل القيح والدم الأسود كعكر الزيت.

ثانيا: الصديد: قال مجاهد عن الصديد أى القيح والدم.

ثالثا: الحميم: حميم آن أى شراب بلغ منتهى الحرارة يقطع الأمعاء.

رابعا: الغساق: قال ابن عمرو: الغساق: القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهرق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو اهرقت في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

وجاء في صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ ؟ »قَالَ: نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ ﷺ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ:«عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» [1] (١٨).

* * *

من المكثرين في رواية الحديث (جابر بن عبد الله بن حرام ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم على موعد مع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عامر بن حرام ﷺ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وعن أبي الزبير، أنه سمع جابراً يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أحداً؛ منعني أبي، فلما قتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط، وكان من المكثرين في الحديث (٣).

جابر ﷺ وغزوة أحد:

روى البخاري في صحيحه عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلاَّ مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ - أي

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٠٠٢.

هو عمرو بن الجموح ﷺ- فِي قَبْرٍ ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي - أي لم تكن نفسي مستريحة وما أحببت - أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخَرِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً- أي قريبا- غَيْرَ أُذُنِهِ[1] الله أكبر! لم يتغير جسد عبد الله بن حرام ﷺ بعد دفنه لمدة ستة أشهر! وهذا يرجع لفضل الشهادة في سبيل الله.

وجاء في صحيح البخاري أيضًا عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ، فَلَمَّا حَضَرَ جِزَازُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدْ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ- أي اجعل كل صنف في بيدر يخصه والبيدر المكان الذي يجعل فيه التمر المقطوع والذي يداس فيه الزرع- كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ»، فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَأَنَّهُمْ أَغْرُوا بِي- أي لجوا في مطالبتي وألحوا- تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلاَ أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً [2]، الله أكبر! الله أكبر! يالـه من عمل مبارك من دلائل النبوة لرسول الله ﷺ.

غزوة ذات الرقاع:

جاء في (سيرة بن هشام) عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَعَلْتُ الرِّفَاقُ تَمْضِي، وَجَعَلْت أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لَك يَا جَابِرُ؟» قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا، قَالَ: «أَنِخْهُ» قَالَ: فَأَنَخْته، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمّ قَالَ: «أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِك، أَوْ اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ» قَالَ: فَفَعَلْت. قَالَ: فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمّ قَالَ: «ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقّ يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً». قَالَ: وَتَحَدَّثْت مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «أَتَبِيعُنِي جَمَلَك

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٨٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٢٧.

هَذَا يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهَبُهُ لَك، قَالَ:«لاَ، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ» قَالَ: قُلْت: فَسُمْنِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قَدْ أَخَذْته بِدِرْهَمٍ قَالَ: قُلْت: لاَ. إذَنْ تَغْبِنُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَبِدِرْهَمَيْنِ قَالَ قُلْت: لاَ. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَنِهِ حَتَّى بَلَغَ الأُوقِيَّةَ. قَالَ: فَقُلْت: أَفَقَدْ رَضِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْت: فَهُوَ لَك؛ قَالَ: قَدْ أَخَذْته. قَالَ:«ثُمّ قَالَ يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوّجْتَ بَعْدُ»؟ قَالَ: قُلْت: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:«أَثَيّبًا أَمْ بِكْرًا؟» قَالَ: قُلْت: لاَ، بَلْ ثَيّبًا؛ قَالَ:«أَفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُك» قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا، فَنَكَحْت امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنّ قَالَ:«أَصَبْتَ إنْ شَاءَ اللَّهُ أَمَا إنّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا - أي مكان قبل المدينة- أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا، فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا- أي تستعد زوجة جابر له -». قَالَ: قُلْت: وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ قَالَ:«إنّهَا سَتَكُونُ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْت فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيّسًا» قَالَ: فَلَمّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَمّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قَالَ: فَحَدّثْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: فَدُونَك، فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ. قَالَ: فَلَمّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتّى أَنَخْته عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ثُمّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ قَالَ: فَأَيْنَ جَابِرٌ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ قَالَ: فَقَالَ:«يَا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِك، فَهُوَ لَك، وَدَعَا بِلاَلاً، فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً» قَالَ: فَذَهَبْت مَعَهُ فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا. قَالَ: فَوَاَللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا، حَتّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا يَعْنِي يَوْمَ الْحَرّة (٢٥)، يقول فضيلة الدكتور على الصلابي : هذه صورة جميلة وخلق راقٍ لرسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث لطف الحديث، والتواضع الرفيع، ورقة الحديث وفكاهة المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الإجتماعية مادياً ومعنوياً، تلك من بعض أخلاق رسول الله ﷺ، الذي بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق، فليتعلم الدعاة، حسن الصحبة، وصدق الأخوة وبر الخلة والمصاحبة (٢٦).

جابر ﷺ يطلب العلم:

جاء في الأدب المفرد للبخاري عن ابن عقيل أن جابر ﷺ حدثه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما، قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال: كما يسمعه من قرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهما قال بالحسنات والسيئات [1].

يالها من همة مباركة! فهلا إقتدينا به في طلب العلم الشرعي ؟، فلقد قال رسول الله ﷺ :«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » [2].

وفاة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :

وتوفي جابر ﷺ سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلى عليه أبان ابن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر ٦٤ سنة (٣).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (حسن) أخرجه (خد) ٩٧٠ وصححه الألباني .

(٢) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في صت ٧٢.

Obeikandl.com

اللقاء الإيماني الرابع والستون:

(الجزاء الدنيوي لمن نفذ شروط التمكين ٢)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، عندما كان المسلمون على المنهج الصحيح، كان المسلم لا يجد وهو يسير في أكثر من نصف الكرة الأرضية دائرة جوازات ولا جمارك ولا أحوالاً مدنية ولا من يقول له: من أنت، ولو قيل له: من أنت لقال: أنا المؤمن الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذه الدولة التي انقسمت الآن إلى عشرات الدول أو الدويلات التي تعيش مستضعفة تحت مطارق الكافرين، تلك الدولة التي يقول عنها المؤرخون: كان هارون الرشيد ذات يوم جالساً في بغداد، فمرت سحابة من فوق رأسه فصار يخاطب السحابة ويقول لها: يا سحابة! أمطري أنى شئت فسيأتيني خراجك ولو بعد حين فلقد كانت الدولة الإسلامية تسابق الشمس على مطالعها.

إن العز والاستخلاف تجده في قصة قتيبة بن مسلم حينما كان في بلاد ما وراء النهر يفتح وينشر الإسلام، فيقول لقادته يوما: يا قومي! أي بلاد تقع أمامنا؟ قالوا: بلاد الصين.قال: والله لا أرجع إلى وطني حتى أطأ بأقدامي هذه تراب الصين - ويشير إلى أقدامه- وأضع وسم المسلمين على الصينيين، وأفرض الجزية عليهم.ووصلت الأخبار والتجسسات إلى ملك الصين تخبره بقسم قتيبة، فهل تظن أن ملك الصين سوف يرسل له إخطاراً تهديداً؟ لا، هو قتيبة بن مسلم الذي جاء ينشر الإسلام، فيرسل إليه ملك الصين صحافاً من ذهب مملوءة بالتربة من أرض الصين، ويقول: هذه التربة ليطأها قتيبة وهو في مكانه ويبر بقسمه، وهؤلاء أولادي الأربعة يضع عليهم الوسم، وهذه الجزية سوف تصله كل عام (٤٢).

إخوتي في الله: يقول المؤرخون عن عقبة بن نافع الفاتح المظفر للمغرب العربي أنه مر في طريقه في تونس وكلفه الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ أن يبني مدينة تكون مركزاً للمسلمين وهي مدينة القيروان في تونس فقرر أن يبني

المدينة لتكون مركزاً للمسلمين في تلك البلاد، فجاءه أهل البلاد وقالوا: أيها القائد! هذه أرض موحشة مسبعة يرجع كل الفاتحين دونها، ابحث عن مكان مناسب.قال: والله لا أبنيها إلا في هذا المكان.

يقولون: فوقف عقبة بن نافع رحمة الله عليه على حافة الغابة وقال: أيتها الوحوش! نحن أصحاب محمد ﷺ جئنا هنا لننشر الإسلام.

يقول شاهد عيان: والله لقد رأينا الوحوش تحمل أولادها من الغابة لتخليها لـ عقبة بن نافع ليقيم عليها مدينة القيروان.

ثم يسير عقبة بن نافع ليصل إلى المحيط الأطلسي فيغرز قوائم فرسه في ماء المحيط ويقول: والله لو أعلم أن وراء هذا الماء أحداً لخضته على فرسي، هذه عزة المؤمنين التي يقول الله ﷻ عنها:{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون:٨].

ويفقدها كثير من الناس اليوم؛ لأنهم لم يأخذوا بكثير من أسبابها، فتتمزق الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة لا تخفى علينا أخبارها، ويسام المسلمون سوء العذاب، وتضيع الأندلس، وتضيع فلسطين، وتضيع مواطن كثيرة.

إذاً الاستخلاف في الأرض مرهون باتباع أمر الله ﷻ، لكني واثق - بإذن الله ﷻ - أن الاستخلاف في الأرض سيعود مرة أخرى، قال ﷻ:{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١].

وكذلك التمكين للدين الذي ارتضاه الله لهم، يقول الله تعالى:{وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} [النور:٥٥]، فالله تعالى قد ارتضى لهذا العالم ديناً واحداً هو دين الإسلام، ونسخ به كل الأديان، ولن يقبل الله ﷻ ديناً سواه، ومن قدم على الله يوم القيامة بدين غير دين الإسلام فإن الله لا يقبله منه، أما التمكين لهذا الدين فإنه سنة من سنن الله ﷻ وعد الله ﷻ بذلك المؤمنين، يقول سبحانه{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [الصف:٩]، لكنه كلفنا بالجهاد في سبيله ليكون الدين كله لله، كما قال الله ﷻ:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩] (٤٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله <٢>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

قال تعالى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج: ١٥].

المعنى: من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمدًا بالنصر في الدنيا بإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذابِ مَن كذَّبه، فلْيَمدُدْ حبلا إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، ثم لينظر: هل يُذْهِبنَّ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصرٌ نبيه محمدًا ﷺ لا محالة.

إخوتي في الله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : فمن ظن أن الله لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، فقد ظن بالله ظن السوء، ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكاً أو بشراً حياً أو ميتاً يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ظن السوء (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (ملابس وأسرة أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ(٥٠)} [إبراهيم: ٤٩-٥٠].

المعنى: وترى - أيها الرسول- المجرمين يوم القيامة مقيدين بالقيود، قد قُرِنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، وهم في ذُلٍّ وهوان ثيابهم من القَطِران الشديد الاشتعال تلفح وجوههم النار فتحرقها.

وقال تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)} [الحج: ١٩].

أي هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدَّعي أنه محقٌّ، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جُعلت لهم من نار يَلْبَسونها، فتشوي أجسادهم، ويُصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره.

وقال تعالى: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٤١)} [الأعراف:١٦].

أي هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم مِن جهنم فراش مِن تحتهم، ومن فوقهم أغطية تغشاهم. وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الظالمين الذين تجاوزوا حدودالله فكفروا به.

قال تعالى: {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)} [الزمر: ١٦].

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (١).

وأخر مسلم أيضًا في صحيحه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» (٢).

* * *

أكثر الصحابة رواية للحديث (أبو هريرة ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأكثر الصحابة رواية للحديث إنه أبو هريرة ﷺ ولقد اختلفوا في اسمه واسم أبيه على

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٣٤.

ثمانية عشرة قولاً وأشهرها عبد شمس بن عامر فسمي في الإسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة فكني بها، وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة - وأبو هريرة من قبيلة دوس التي أسلمت على يد الطفيل بن عمرو الدوسي- (٢٨).

وهو أشهر من سكن الصفة طول عمر النبي ﷺ ولم يتنقل عنها، وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين، وزهد في لبس اللين والحرير (١٧).

أبو هريرة ﷺ يلزم الصفة:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: كَانَ يَقُولُ أَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ - أي ألصق بطني بالأرض - مِنْ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ - أي أربط - الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ - أي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ - الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإسلام- أي ضيوف المسلمين- لاَ يَأْوُونَ - أي لاينزلون - إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ - أي أهمني وأحزنني - فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا جَاءَ - أي الذي أمرني رسول الله ﷺ بدعوته وهم أهل الصفة -، أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: أَبَا هِرٍّ قُلْتُ:" لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ: فَشَرِبْتُ فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ»، حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ الله وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ (١).

من فوائد هذا الحديث: بيان كرم النبي ﷺ وإيثاره على نفسه ورحمته بالمؤمنين وكان يعطي عطاءَ من لايخشى الفقر، كما أن الأولى لمن قدم له إناء أن يتناول منه هو الأول ثم يعطي من يليه، بالرغم أن كثير من الناس حيث يظن أن من الأدب التعفف عن أكل شرب الفضلة، وفي هذا الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ.

بر أبو هريرة ﷺ بأمه ودعا الرسول لهما:

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسلام وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسلام فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ الله أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ - أي مغلق - فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ - أي صوتهما في الأرض - فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ- أي صوت تحريكه- قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: خَيْرًا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ الله أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا- يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٠٨٧.

الْمُؤْمِنِينَ»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ أَحَبَّنِي [1]، فلقد بر أمه فأكرمه ربه.

دعاء رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه :

جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ- أي العمل- بِالأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنْ الأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ - أي ما يتعلق بإصلاح أموالهم من مزارع ونحوها - وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ - أي موضع مظلل في المسجد كان يأوي إليه الغرباء وفقراء الصحابة رضي الله عنهم ومن ليس له منزل منهم - أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ«إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ»، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً - أي كساء مخطط أو ملون - عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ [2]، وببركة دعاء النبي ﷺ روى أبو هريرة رضي الله عنه ٥٣٧٤ حديث.

أخوتي في الله، ليسأل كل منا نفسه ماذا قدم لدين الله تعالى ؟

شبهة والرد عليها ووفاة أبو هريرة رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ«وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ» [3]. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على هذا الحديث في سير أعلام النبلاء: وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الاحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه، ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٩١.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٤٢.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٠ .

خلافة يزيد بن معاوية، لانها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة، فمات قبلها بسنة، ولقد بكى أبو هريرة في مرضه، وقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بُعْد سفري، وقِلَّة زادي، وأني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي(١٧)، فهل من معتبر يا أخوة ؟

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

اللقاء الإيماني الخامس والستون:

(من أسباب تأخر موعود الله <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من الأسباب التي أدت إلى تأخر موعود الله عز وجل ما يلي:-

١- تسلط وطغيان الباطل على المسلمين مع ضعف إيمان أكثر المسلمين فيتراجعوا في منتصف الطريق، ويكونون من الذين قال الله ﷻ فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} [الحج:١١]، أو من الذين قال الله تعالى فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} [العنكبوت:١٠]، هذا التسلط خطير جداً، وخصوصا مع ضعف الإيمان في نفوس أكثر المسلمين (٤٣).

فلا تعجب حينما يتأخر موعود الله عز وجل، ولو نظرنا نظرة أخرى إلى العالم الإسلامي لوجدناه قد ضيع كثيراً من الواجبات التي شرعها الله ﷻ، ولذلك كثير من المسلمين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وكثير من المسلمين عطلوا الزكاة، وكثير من المسلمين ركبوا المحرمات، وركوب المحرمات يستلزم ترك الصالحات؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، ولذلك كم في بلاد المسلمين من بنوك الربا؟! وكم في بلاد المسلمين من وسائل الترفيه التي يقولون عنها: بريئة؟! وكم في بيوت المسلمين من الأجهزة الراقصة اللاهية

اللاعبة؟! إلى غير ذلك من الأمور التي نسأل الله أن يعافينا ويعافي المسلمين من شرها ويحفظنا جميعاً بحفظه (٤٢).

لذا فإن مسئولية الدعاة جد عظيمة فينبغي عليهم مضاعفة جهودهم في الحركة لهذا الدين لزيادة الإيمان في نفوس المسلمين، وبذلك يتمكن المسلمون من مواجهة هذا التسلط بكل قوة كما فعل سحرة فرعون الذين قال لهم فرعون: {فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه:٧١]، فقال السحرة: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه:٧٢].

٢- ضعف دعاة الحق ونشاط دعاة الباطل، إن ضعف دعاة الحق يعد من أقوى الأسباب، لاسيما إذا كان هناك نشاط لدعاة الباطل، ولاسيما إذا كان دعاة الباطل من أبناء جلدتنا - نعوذ بالله - ومن يتكلمون بألسنتنا، فمن كان اسمه أحمد، أو محمد، أو عبد الله، أو عبد الرحمن فإن هؤلاء يطعنون في الإسلام أكثر مما طعن فيه أبو جهل و أبو لهب، هذه حقيقة خطيرة في وقت قل فيه دعاة الحق، وأُضعفوا وأوقفوا أو كادوا يوقفوا، لكن لنا أمل في الله ﷻ أن تعود المياه إلى مجاريها.

٣- الإعراض عن شرع الله، فالإعراض عن شرع الله ﷻ موجود، فالآن لا تجد دولة تحكم بشرع الله فهل يمكن أن يظهر هذا الدين في وقت لا نجد فيه إلا دولة واحدة في العالم تحكم بشرع الله؟ نقول: الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة، وأبناء هذه الصحوة -وهم اليوم حتى في أمريكا وفي روسيا والحمد لله- الآن يؤذنون بخير وبصبح قد أقبل، وبأنهم سوف يعيدون للأمة الإسلامية شرع الله وحكم الله في الأرض.

٤- وجود المغريّات وكثرتها، فمن أسباب وجود مغريات في هذا العصر، منها السفر إلى الخارج فهو ميسر، ومنها الأفلام، فهي أفلام تصل إلى قعر بيوت المسلمين، ولربما يعدوننا بالبث المباشر، ويخوفوننا بالذين من دون الله، إلى غير ذلك من هذه الأمور، وهذه حقيقة مخيفة، لكن المؤمن إذا عرف الله ﷻ لا يتأثر بكل هذه الأمور؛ لأن المؤمن ينطلق من منطلق قوي وهو إيمانه بالله ﷻ (٤٣).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في منكري القدر)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، في آخر عصر الصّحابة بعد عهد الخلفاء الراشدين وبعد خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وفي آخر حياة ابن عمر وابن عبّاس وغيرِهما من الصّحابة ظهر بالبصرة رجلٌ يُقال له: مَعْبَد الجُهَني، يُنكر القدر، فَعَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي قَالَ: « لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ » قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ (١).

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ (٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (٣). وهذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم. ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي.

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم د هـ حب طب) وصححه الألباني ص.ج ٥٢٤٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه (ت) ٤٦٩٥ وصححه الألباني ص.ج ٧٥٨٥ .
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٥٣.

يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن هؤلاء القدرية : قد كان المسلمون في عهده ﷺ قد آمنوا بالقدر وسلموا لله أمره ثم نبتت نابتة بعد ذلك في آخر عهد الصحابة فأنكروا القدر وقالوا الأمر أنفٌ وزعموا أن في إثبات القدر خلافاً ومنافاة للعدل وأنه كيف تقدر الأمور ثم يعاقب العاصي والكافر على ما فعلوا وكان الإمام الشافعي يقول في شأن القدرية: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا، والمعنى قولوا لهم : هل يعلم الله الأشياء قبل وجودها ؟ فإن قالوا : نعم يعلمها قبل وجودها، فهذا هو القدر أن الله علم الأشياء قبل وقوعها وكتبها عنده وهو يعلمها قبل أن تقع، وإن أنكروا وقالوا : لا يعلم، كفروا لأنهم في هذه الحالة نسبوا الله إلى الجهل، والله يقول : {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : ٢٣١]، فمن نسب ربه إلى الجهل وأنه لا يعلم الأشياء فقد طعن وتنقص غاية التنقص فيكون كافراً ولهذا ذهب جمع غفير من أهل العلم من أهل السنة إلى كفر القدرية لأنهم كذبوا بالقدر وأنكروا العلم في الحقيقة.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (سقوط الكفار والمشركين وعصاة المسلمين في النار ثم خروج عصاة أهل التوحيد من النار بالشفاعة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «.. إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا ، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا قَالَ : فَيُشَارُ

إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ؟ قَالُوا : يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزِلَّةٌ - أي الموضع الذي تزل فيه الأقدام - فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : { إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ

فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..»[1].

* * *

رجل يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

(صهيب بن سنان بن مالك ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لرجل يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله عز وجل إنه الصحابي الجليل صهيب بن سنان بن مالك الرومي ﷺ وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملا لكسرى على الأيلة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل على الفرات فأغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير، فأقام عندهم حينا ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه، وأقام بمكة حينا، فلما بعث رسول الله ﷺ آمن به وكان ممن أسلم قديما هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلا، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله ﷺ، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام، وشهد بدرا وأحدا وما بعدهما، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذي يصلي بالناس حتى تعين عثمان، وهو الذي ولى الصلاة على عمر، وكان له صاحبا وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر، وكان لسانه فيه عجمة شديدة وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانشراح، وكانت وفاته بالمدينة ٣٨هـ وقد نيف على السبعين (٨).

قصة إسلامه وتحمله الأذي:

روى ابن ماجة في السنن عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ ، (م) ١٨٣ واللفظ لمسلم.

وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا - أي وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية والتقية جائزة لقوله تعالى{مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل:١٠٦] - إِلاَّ بِلاَلاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ - أي حقرَنفسه من أجل الله تعالى - وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ [1]، هكذا عذبوهم يوم أن رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيناً ورسولاً.

هجرة صهيب ﷺ من مكة إلى المدينة:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى، أن صهيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أرأيت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين، فإما أن تكون هجر، أو تكون يثرب قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكيا، فناموا فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردوني، فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا، فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب- أي خشبة الباب التي يوطأ عليها- فإن بها أواقي، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال: «يا أبى يحيى ربح البيع»، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام (٨).

وعن أبي عثمان: أن صهيبا حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة: أتيتنا صعلوكا حقيرا، فتغير حالك! قال: أرأيتم إن تركت مالي، أمخلون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم، فخلع لهم ماله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:«ربح صهيب! » [2].

أحبتي في الله، إن حادثة صهيب في الميزان البشري تعد خسارة لصهيب،

(١) (حسن) أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٥٤ .
(٢) (رجاله ثقات) أخرجه (ابن سعد) ٣ / ٢٢٧، ٢٢٨ وقال شعيب الأرنؤوط رجاله ثقات.

ولكن قول رسول الله ﷺ له:يا أبا يحيى ربح البيع، تدل على أنه ربح في ميزان الله، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم:{إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة:١١١].

فعلى هذا يكون من باع نفسه وماله في سبيل الله رابحًا وضامنًا للجنة التي لا يوجد شيء على الأرض أغلى منها، بل إن الحورية من الجنة لو أطلعت لغطت شعاع الشمس، ولو وقع خمارها على الأرض لعطر الأرض كلها، إلى ما فيها من أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وما فيها من الأشجار، التي سيقانها من الذهب، وما فيها من القصور المبنية من الذهب.. الخ (٣٨).

ذكر وفاته ﷺ :

جاء في (صفة الصفوة)، توفي صهيب ﷺ بالمدينة في شوال سنة ٣٨هـ وهو ابن سبعين سنة وقال المدائني: عاش ثلاثا وسبعين سنة، وقال الفسوي: عاش أربعا وثمانين سنة، وله نحو من ثلاثين حديثا، روى له مسلم منها ثلاثة أحاديث (٢٨).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

اللقاء الإيماني السادس والستون:

حتى لا تكون فلسطين أندلسا أخرى)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أخي في الله، هل تعلم أن تعداد المسلمين في أسبانيا والبرتغال الآن لا يتجاوز ١٠٠ ألف مسلم معظمهم حديثي العهد جدا بهذه البلاد؟ وهل تعلم ما تفسير ذلك بالرغم من أن حضارة المسلمين إمتدت في الأندلس ما يزيد عن ثمانية قرون؟ وهل تعلم لماذا أحتلت كثير من البلاد الإسلامية مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومع ذلك فما زال جل السكان فيها من المسلمين؟ تفسير ذلك أن الاحتلال الأسباني للأندلس كان إحتلالا إستيطانيا إحلاليا بمعنى أنه كانوا إذا أغاروا على بلد من بلاد المسلمين في الأندلس قتلوا أهلها جميعا أو هجروهم خارجها ثم يأتون بالأسبان من أماكن أخرى يوطنونهم في هذه البلاد وبذلك قاموا بعملية إحلال للشعب الأسباني والبرتغالي بدلا من الشعب الأندلسي المسلم، حتى إذا إنتهوا من آخر مدن الأندلس لم يبقى في الأندلس مسلم واحد، ولما طرد المسلمون من الأندلس تعلقت قلوب المسلمين في البلاد الإسلامية ببلاد الأندلس وتاقت إلى تحريرها، مدة من الزمان، ولكن فتر ذلك بمرور الزمن فلقد مر اليوم خمسة قرون ونسي المسلمون قصة الأندلس، وما عادوا يذكرون الآن إلا أسبانيا والبرتغال دولتان أوربيتان يضمان في بلادهما عددا من الآثار الإسلامية والمساجد التى حولت إلى كنائس ولا حول ولا قوة إلا بالله، كان هذا هو الاحتلال الأسباني الإستيطاني الاحلالي، أما إحتلال الدول الأخرى للبلاد الإسلامية كان إحتلال بالجيوش وإحتلال الجيوش لا بد أن ينتهى لأن الجيوش لا بد أن تخرج وتعود إلى بلادها مهما طال الزمان أو قصر.

والوضع في فلسطين يشبه لحد كبير ما حدث في الأندلس، فاليهود يقومون بعملية إستيطان وإحلال للشعب الفلسطيني المسلم باليهود ولن يبقى الحال كما هو عليه بل قد يتكرر ما حدث في الأندلس وقد يجيء زمان على المسلمين يزورون المسجد الأقصى بفيزة سياحة من السفارة الإسرائيلية كما يزورون الآن أكبر مسجد في العالم مسجد قرطبة في أسبانيا بفيزة سياحية من السفارة

الأسبانية، أنا أخاطب عموم المسلمين ولا أخاطب الحكومات، يا أخوتي هناك ستة واجبات أو ست وسائل إذا فعلتها على الوجه الأمثل كنت ممن أدى حق فلسطين، وكنت قد ساهت في تحرير فلسطين إن شاء الله تعالى ويوم القيامة تقول ياربي فعلت كذا وكذا لفلسطين.

الواجب الأول: فهم القضية الفلسطينية وتحريكها بأقصى سرعة فلا يجب أن تموت القضية الفلسطينية أو تنسى، وكذا لا يجب أن يمر عليك يوما أو يومين ولا تذكر فلسطين أو تُذَكِّر بها، تحدث عن فلسطين مع أبيك وأمك وأخيك وأختك وأولادك وأحفادك، وأهلك وأصحابك وزملائك في دائرة العمل بدلا من أن تتكلم عن المباريات والأفلام والتمثيليات..ولا مانع من كتابتك لمقالة في مجلة أو جريدة أو رسالة على الإنترنت مع المحافظة على الضوابط الإسلامية الشرعية بدون سِباب أو شتم فليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء، ولا تستخدم الشعارات الضالة التى قد تؤخر القضية فضلا عن أنها قد تعجل بموتاها، وتوضح بعض المفاهيم، فلماذا نريد تحرير فلسطين؟ الجواب: نريد تحريرها لأنها إسلامية وحذاري من أن تقول لأنها عربية لأن ذلك من دعوى الجاهلية التى أمرنا رسول الله ﷺ بأن ندعها فقال دعوها فإنها منتنة، وحذاري أن تقول من أجل الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وهو ثالث الحرمين، فقد يقال لك خذ الأقصى واترك لنا فلسطين، ففلسطين فتحها المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب ﷺ عام ١٣ هـ وأتموا فتحها عام ١٨ هـ وبذلك أصبحت فلسطين بكاملها أرض إسلامية ولا يجوز التفريط في شبر من أرض فلسطين (٥١).

أحبتي في الله، لعل من المناسب هنا أن نذكر نبذة سريعة عن إنشاء دولة إسرائيل فلقد ذَكَرَت الموسوعة العربية العالمية أنه في عام ١٩١٧م في محاولة من دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا) لكسب الدعم اليهودي لها في الحرب، أصدرت بريطانيا وعد بلفور، ونص الوعد على تعهد بريطانيا بمساعدة اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، دون الإخلال بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين، وبعد الحرب العالمية الأولى، قامت عصبة الأمم بتقسيم الكثير من أراضي الدولة العثمانية - وذلك بعد هزيمة ألمانيا والنمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية في الحرب

العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) من الحلفاء - إلى أراضٍي واقعة تحت الانتداب، وفي عام ١٩٢٠م تلقت بريطانيا تكليفًا بالانتداب المؤقت على فلسطين وكانت مقدمة التنفيذ لوعد بلفور قد بدأت في عهد الانتداب البريطاني، حيث جعلت بريطانيا اللغة العبرية من اللغات الرسمية في فلسطين، ومنحت اليهود الحرية الكاملة في إنشاء مدارس يهودية وجامعة عبرية، كما عينت بريطانيا أحد اليهود الصهاينة، هو هربرت صمويل، مندوبًا ساميًا في فلسطين، وقد سعى هذا بدوره إلى إلحاق أعداد كبيرة من اليهود بالدوائر الحكومية وتمليك الصهاينة الأراضي الفلسطينية، ووضع اقتصاديات فلسطين تحت تصرف اليهود كما طلب بتهجير ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين، فأصدرت بريطانيا قانون الهجرة لتنفيذ هذا الأمر.

كما امتلك اليهود أغلبية الأراضي بمساعدة - المندوب السامي البريطاني اليهودي هربرت صموئيل الذي استغل وجود قانون عثماني قديم بإعطاء الأرض التابعة للدولة لمن يستثمرها فحول معظم هذه الأراضي لليهود.

ثم أوصت هيئة الأمم بتقسيم فلسطين إلى دولتين؛ عربية ويهودية، وطلبت وضع القدس تحت الوصاية الدولية، وتبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذه الخطة في نوفمبر ١٩٤٧م. وأصدرت قرارها في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م الذي تضمن التوصية بتقسيم فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ولكنها تجاهلت بقرارها حق شعب فلسطين في تقرير مصيره، وأعطت اليهود ٥٦% من أراضي شعب فلسطين، في حين أنهم كانوا يمثلون فقط ٥.٦% من مجموع السكان قبل التقسيم، وفي ١٤ مايو ١٩٤٨م، أعلن اليهود قيام دولتهم المستقلة، وانسحب البريطانيون من فلسطين، ويلاحظ أنه حينما دخلت بريطانيا إلى فلسطين كان عدد اليهود ٥٦ ألفًا وحينما غادرتها كان عددهم ٧٥٠ ألفًا.

وفي اليوم التالي، قامت الدول العربية المجاورة بمحاولة مساعدة أهل فلسطين في محنتهم ضد اليهود، فنشبت حرب عام ١٩٤٨م فدخلت الجيوش العربية إلى فلسطين لمساعدة الشعب الفلسطيني في محنته، إلا أنها لم تتمكن من تحقيق هذا الهدف- لحدوث بعض الخيانات- وهزمت في جميع الجبهات وكان من نتائج تلك الحرب إحكام سيطرة اليهود على أكثر من ثلاثة أرباع مساحة فلسطين (٧٨%) وتشريد وطرد ما يقارب ٧٧٥٠٠٠ شخص من الشعب

الفلسطيني إلى الأقطار العربية المجاورة، وعند نهاية الحرب لم يكن قد تبقى من فلسطين تحت السيطرة العربية سوى الضفة الغربية وقد ضمت إلى شرق الأردن لتكونا معًا المملكة الأردنية الهاشمية وقطاع غزة فقد بقي تحت إدارة الجيش المصري.

وفي الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م شنت إسرائيل عدوانها على مصر والأردن وسوريا. وتمكنت إسرائيل في هذه الحرب، من إلحاق هزيمة بالدول العربية مصر وسوريا والأردن واحتلال الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية)، وشبه جزيرة سيناء المصرية وقطاع غزة الفلسطيني ومرتفعات الجولان السورية، وكان من نتائج الحرب تشريد ونزوح أكثر من نصف مليون فلسطيني من الضفة الغربية إلى الأردن والأقطار المجاورة أ. هـ.

الواجب الثاني: التغلب على الانهزامية وعلاج الإحباط الذي دخل في نفوس كثير من المسلمين ولقد تناولنا هذا الواجب بالتفصيل في جميع اللقاءات الإيمانية السابقة.

الواجب الثالث: التبرع بالمال لفلسطين، "إقتطع جزءا من راتبك لتنفق على إخوانك اللاجئين المشردين المنكوبين.. في فلسطين".

الواجب الرابع: المقاطعة لكل الشركات اليهودية أو الشركات العالمية التى تدعم إسرائيل.

الواجب الخامس: الدعاء لأهل فلسطين بأن يوحد الله صفوفهم ويقوي شوكتهم ويثبت أقدامهم وينصرهم على عدوهم ويمكّن لهم في الأرض ويزلزل الأرض من تحت أقدام أعدائهم قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:٦٠]، وأعلم أخي في الله أن الدعاء يرفعه العمل الصالح وأن هذا هو السلاح الخفي الذي غفل عنه كثير من المسلمين.

الواجب السادس: تقوى الله وهجر المعاصي وإصلاح النفس والمجتمع وتقديم أمر الآخرة على أمر الدنيا، فلن ننتصر إلا إذا قدمنا أمر الآخرة على أمر الدنيا، روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه، عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ

السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ» فَقَالَ قَائِلٌ:يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:«حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

أخي الكريم، إن وجدت تقديما لأهل الرذيلة وعلوا لأهل الفسوق وتأخيرا للعلماء وسجنا للدعاة، وإذا وجدت الولد يهمل والديه، والرجل يكره وطنه، والحاكم يظلم شعبه، والأجسام هامدة، والعقول خاملة، والعزائم فاترة، فاعلم أن الدنيا مقدمة على الآخرة وهذا متبوع بالهلاك، ثم متبوع بالاستبدال قال تعالى:{وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد:٣٨] (٥١).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في المصورين)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، يعد التصوير سببٌ من أسباب الشّرك، الذي هو ضدّ التّوحيد، كما حدث لقوم نوح لَمّا صوّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلى أنْ عبدوهم من دون الله، فأوّلُ شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التّصوير. وكذلك قوم إبراهيم الذين بعث إليهم كانوا يعبدون التماثيل التي هي صور مجسّمة لذوات الأرواح، وكذلك بنو إسرائيل عبدوا التمثال الذي هو على صورة عجل صنعه لهم السامري.

فدلّ هذا: على أنّ التصوير سببٌ لحُدوث الشرك ووسيلةٌ إلى الشّرك، وذلك أنه إذا صنعت الصورة وعلّقت أو نُصبت مثل صور للزُّعماء والصّالحين والعلماء فإنّها في النهاية تعظُّم، ثم الشيطان يأتي النّاس ويقول لهم: إنّ هذه الصور فيها نفعٌ لكم، وفيها دفعُ ضرر، فيعظّمونها ويتبرّكون بها، ويذبحون دلها وينذرون لها، حتى تُصبح أوثاناً تعبد من دون الله.

لأنّ الله جل وعلا تفرّد بالخلْق، وتفرّد بالتّصوير:{هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ

(١) (صحيح) أخرجه (حم د) وصححه الألباني في ص.ج ٨١٨٣

الْمُصَوِّرُ} [الحشر:٢٤]، فالله جل وعلا هو المصوِّر، فالذي يحاول أن يضع شكلاً يشبه الصورة التي خلقها الله جل وعلا يجعل نفسه شريكاً لله في التّصوير، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا فَقَالَ لَهُ:ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ:ادْنُ مِنِّي فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»(١).

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ ﷺ أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» (٢).

وطمسُها يكون بإزالة الرأس أو قطعه أو تلطيخه وإخفائه تماما، ولا قبراً مشرِفاً إلاّ سوّيته" المشرف: المرتفع، بأن يُبنى على القبر بناية من أجل تعظيم القبر، كما يفعل من بناء الأضرحة، أو يزاد عليها غير ترابها حتى تصبح مرتفعة أكثر من شبر، أو تجصص القبور ويكتب عليها، وما أشبه ذلك، فهذا كله حرام، لأنّه وسيلة إلى الشرك (٦).

قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى أما التصوير باليد فحرام بل هو كبيرة من كبائر الذنوب، وأما التصوير بالآلة وهي (الكاميرا) فهذه موضع خلاف بين المتأخرين فمنهم من منعها، ومنهم من أجازها، والاحتياط الامتناع من ذلك؛ لأنه من المتشابهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، لكن لو احتاج إلى ذلك لأغراض معينة كإثبات الشخصية فلا بأس به؛ لأن الحاجة ترفع الشبهة.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل النار وأول من تسعر بهم النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١١٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٦٩.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)} [البقرة: ٣٩].

وقال تعالى: {فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩)} [النازعات: ٣٧-٣٩].

وروى مسلم في صحيحه عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا.. وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا - أى ليس له قوة وحرص على ماينفعه فهو تابع مهين للفجرة المسرفين - ، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ - أي لو توفرت له فرصة الخيانة لخان - ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ - أي أصحاب الوجهين - ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ - أي سيئ الخلق الذى يتكلم بفاحش الكلام ويتركه الناس إتقاء لفحشه - »[1].

وجاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [2].

عباد الله، هؤلاء الثلاثة الذين ذكروا في الحديث وقعوا في آفة الرياء والرياء من الشرك الأصغر وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل ثناء الناس لذا ينبغي علينا أن نحذر من الرياء وأن نجدد النيه في أول العمل وأثناء القيام

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٦٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٠٥.

بالعمل وبعد الانتهاء من العمل.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني السابع والستون:

قيام دولة المرابطين وأسباب النصر والتمكين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، موعدنا اليوم مع ما سجله التاريخ عن قيام دولة المرابطين هذه الدولة العظيمة التى سجلت في التاريخ بمداد من ذهب، ففي عام ٤٤٠ هـ كانت جنوب مورتانيا مملوءة بطوائف البربر المنتشرة في الشمال الإفريقي صنهاجة وأكبر قبيلتين في صنهاجة هما جدالة ولمتونة وكان على رأس قبيلة جدالة يحيى ابن إبراهيم الجدالي وكان هذا الرجل على فطرة حسنة طيبة وكانت هذه القبائل جميعا من المسلمين، نظر يحيي ابن ابراهيم الجدالي إلى قبيلته فوجدها مليئة بالمنكرات وجد أن الناس قد إعتادوا شرب الخمر وفشا الزنا حتى أن الرجل كان يزاني حليلة جاره وجاره لا يعترض على ذلك لأنه هو الآخر يعمل هذا الأمر، وكثر الزواج لأكثر من أربعة نساء، وكثر السلب والنهب فالقبيلة القوية تأكل القبيلة الضعيفة، والقبائل مشتتة مفرقة.

ولقد كان يحيى ابن إبراهيم الجدالي يعرف أن هذا منكر لكن لم يكن لديه طاقة للتغيير لسببين **الأول:** الشعب كله عاش في ضلال وبعد عن الدين، **ثانيا:** لم يكن لديه من العلم ما يغير به الناس. فأخذ يفكر وهداه ربه لفكرة عظيمة وهي أن يذهب للحج وعند عودته يمر على مدينة القيروان التى كانت في ذلك التاريخ مدينة العلم وهناك قابل الإمام أبو عمران الفاسي شيخ المالكية في القيروان وكان على المذهب المالكي بل لقد كانت جميع دول شمال أفريقيا والأندلس على هذا المذهب فحكى له مايدور في بلاده فأرسل معه الإمام عبد الله ابن ياسين الذي كان له طلاب كثيرون في الجزائر وتونس، فانطلقا إلى جنوب مورتانيا وأخذ الإمام عبد الله ابن ياسين يعلم الناس في أناة شديدة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكن ثارت عليه جميع القبائل وثار عليه الشعب لأن الشعب يحب أن يعيش في شهواته وأصحاب المصالح مستفيدون من هذا الوضع، كما أن يحيى بن إبراهيم الجدالى لم يستطيع حماية عبد الله ابن ياسين

حتى بلغ الأمر أن طردوه خارج البلاد فانطلق حتى وصل إلى شمال السنغال وهناك نصب خيمته بجوار أحد الأنهار وبعث برسالة إلى أهل جدالة في جنوب موريتانيا قائلا لهم من أراد أن يلحق بي في شمال السنغال حتى يتعلم العلم الشرعي فليأتني في مكان كذا وكذا، فلحق به خمسة رجال فأخذ يعلمهم الإسلام كما أنزل كدين شامل ينظم أمور الحياة كلها، ولما تعلم هؤلاء الرجال دينهم شعروا أن من حق إخوانهم في بلادهم أن يعلموهم ما تعلموه فذهبوا وأتى كل رجل برجل وظل الإمام عبد الله ابن ياسين يعلمهم الإسلام كمنهج حياة، وإزداد عدد هؤلاء الرجال حتى بلغوا في عام ٤٤٤هـ ١٠٠٠ رجل فقال عبد الله ابن ياسين لمن معه لن يغلب ١٠٠٠ من قلة فنزل الرجال الى بلادهم يعلمون الناس تعاليم الإسلام وبدأ هذا العدد يزداد ببطيء وفي عام ٤٤٥هـ إقتنع بفكرة الإمام عبد الله ابن ياسين زعيم قبيلة لمتونة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ودخل في جماعة الإمام عبد الله ابن ياسين ومن خلفه قبيلته، فإرتفع العدد من ١٣٠٠ رجل الى ٧٠٠٠ رجل وبعد قليل يموت الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ويتولى زعامة قبيلة لمتونة أبو بكر ابن عمر اللمتوني وتوسعت دولة المرابطين في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثناء قيام الإمام عبد الله ياسين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحد القبائل حاربوه وقتلوه وخلف من ورائه ١٢ ألف رجل على منهج أهل السنة والجماعة عام ٤٥١هـ، ويتولى من بعده الشيخ أبو بكر ابن عمر اللمتوني زعامة جماعة المرابطين ويستمر عامين في زعامة هذه الجماعة الناشئة ويكونوا في التاريخ ما يعرف بدويلة المرابطين في شمال السنغال وجنوب موريتانيا، وفي سنة ٤٥٣هـ حدث خلافا بين المسلمين في جنوب السنغال في منطقة بعيدة تماما عن دويلة المرابطين، وحيث أن الخلاف كله شر فالخلاف يصد عن الدعوة إلى الله، لذا قام الشيخ أبو بكر اللمتوني بتقسيم مجاهدي دولة المرابطين إلى جماعتين كلا منها قوامه ٧ ألاف مجاهد أخذ معه ٧ ألاف مجاهد وتوجه لحل الخلاف في جنوب السنغال وخلف على باقي مجاهدي المرابطين ابن عمه يوسف ابن تاشفين وبعد أن قام بحل الخلاف فوجيء بأن هناك قبائل وثنية فانشغل بدعوتهم إلى الإسلام فدخل منهم جمع وقاومه آخرون وأخذ الأمير أبو بكر ابن عمر اللمتوني يتوسع من قبيلة لأخرى حتى عاد عام ٤٦٨ هـ أي بعد خمسة عشر

عاما فوجد العجب وجد أن الأمير يوسف ابن تاشفين قد توسع هو الآخر وامتدت دولة المرابطين لتشمل على السنغال كلها وموريتانيا بكاملها والمغرب العربي بكامله والجزائر بكاملها وتونس بكاملها ووجد أن السبعة آلاف مجاهد الذي تركهم عام ٤٥٣ هـ مع الأمير يوسف ابن تاشفين أصبح قوامهم ١٠٠ ألف فارس وأن الأمير يوسف ابن تاشفين بنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة له وكان متقشفا زاهدا ورعا عالما بدينه ففعل أبو بكر ابن عمر اللمتوني شيئا عجباً قال للأمير يوسف ابن تاشفين أنت أحق بالحكم منى أنت تستطيع أن تجمع الناس وتستطيع أن تنتشر، أما أنا فسأعود مرة أخرى لنشر الإسلام في أدغال أفريقيا ونزل أبو بكر ابن عمر اللمتوني إلى أدغال إفريقية يدعو من جديد فدخل الإسلام علي يديه في أكثر من خمسة عشر دولة إفريقيا منهم غنيا بيساو وسيراليون وساحل العاج ومالي والنيجر والكاميرون وإفريقيا الوسطى والجابون..الخ وأصبح قوام مجاهدي دولة المرابطين في أدغال إفريقيا ٥٠٠ ألف مجاهد لتصبح دولة المرابطين عام ٤٧٨ هـ دولة واحدة تمثل أكثر من ثلث إفريقيا وتضم أكثر من ٢٠ دولة إفريقية من الدول المعاصرة ثم يستشهد أبو بكر ابن عمر اللمتوني عام ٤٨١ هـ، ويطلق الأمير يوسف ابن تاشفين على نفسه أمير المسلمين وناصر الدين وعندما سئل لما لا تسمى نفسك أمير المؤمنين فقال هذا شرف لا أدعيه وهو يخص العباسين وأنا رجل من رجالهم، سبحان الله العباسين آنذاك لا يتواجدون إلا في بغداد وأين العباسين من ابن تاشفين ولكنه لا يريد شق عصا الخلافة وكان يتمنى أن لو ضم قوته لقوة الخليفة العباسى ويصبح رجل من رجاله، وفي هذا الوقت كان التفكك على أشده في الأندلس قسمت الأندلس إلى دويلات كثيرة محكومة بملوك الطوائف بل وأصبحت هذه الدويلات تدفع لمملكة النصارى قشتالة الجزية أكثر من ثمانين عاما قبل عام ٤٨٣ هـ ثم سقطت طليطلة أحد دويلات الأندلس وحوصرت أشبيلية التى كانت تدفع الجزية هي الأخرى إلى ألفونسو السادس قائد قشتالة وذلك إثر حدوث خلاف بين أمير أشبيلية المعتمد على الله محمد بن عباد، وألفونسو ملك قشتالة، وبعد أن استمر الحصار عدة شهور أرسل ألفونسو إلى المعتمد على الله قائلا أن الذباب قد آذاني حول مدينتك فإن أردت أن ترسل لي مروحة أروح بها عن نفسي فافعل، فقلب المعتمد على الرسالة وكتب على

ظهرها لئن لم ترجع لأروحن لك بمروحة من المرابطين فبمجرد أن قرأ ألفونسو ذلك عاد مباشرة بجيشة إلى مملكته، ولما رأى ملوك الطوائف ذلك أيقنوا أن جميع دويلات الأندلس ستسقط الواحدة تلو الأخرى والتى تبلغ ٢٠ دويلة آنذك فعقدوا مؤتمر القمة الأندلسي الأول وإتفقوا على إرسال وفد من ملوك الطوائف لدولة المرابطين حتى يستعينوا بهم لطرد النصارى عن بلادهم فذهب الوفد إلى مراكش وقابلوا الأمير يوسف ابن تاشفين فوافق على الفور وأخذ معه ٧٠٠٠ مجاهد فقط بالرغم أنه يملك ١٠٠ ألف فارس في الشمال و٥٠٠ ألف فارس في الجنوب والسبب في ذلك أنه لا يستطيع أن يترك هذه المساحات الشاسعة بلا حراسة ولا حماية، ويعبر بهؤلاء المجاهدين مضيق جبل طارق واستقبله هناك ملوك الطوائف اسقبال الفاتحين وتوجه مع المجاهدين إلى منطقة الزلاقة شمال أشبيلية وحدود قشتالة المملكة النصرانية حيث إجتمع حوله من بلاد الأندلس ٢٣٠٠٠ ألف مجاهد ليصبح جيش المسلمين عند منطقة الزلاقة ٣٠٠٠٠ ألف مجاهد في حين تقدم جيش ألفونسو السادس إلى هناك أيضا ليصل عدد جيش النصارى ٦٠ ألف ثم أرسل الأميريوسف ابن تاشفين رسالة إلى ألفونسو مفادها علمت أنك دعوت أن يكون لك سفن حتى تعبر إلينا، فلقد يسرنا لك الأمر وعبرنا إليك وستعلم عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال، وإني يا ألفونسو أعرض عليك الإسلام، أو أن تدفع الجزية عن يد وأنت صاغر، أو الحرب ولن أوجلك عن ثلاث، فأرسل ألفونسو رساله له مفادها أنني إخترت الحرب فكتب الأمير يوسف ابن تاشفين على ظهرها: الجواب ما ستراه بعينك لا ماتسمعه بأذنك، فكتب ألفونسو إلى الأمير يوسف فى تحديد يوم المعركة فكتب إليه: إن بعد غد الجمعة لا نحب مقابلتكم فيه لأنَّه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود، وهم كثير فى محلتنا، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد، ويكون اللقاء يوم الاثنين، فكان جواب الأمير يوسف: اتركوا اللعين وما أحب، فاعترض المُعْتَمِد على الله وقال للأمير يوسف: إنها حيلة منه وخديعة إنَّما يريد غدرنا فلا تطمئن إليه، وقصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النَّهار، واستعد المُسْلِمُون لرصد تحركات النصارى فقام الأمير يوسف ابن تاشفين بتقسيم جيش المسلمين إلى ثلاثة أقسام خمسة عشر ألفا من الأندلسيين يقودهم الأمير المعتمد

على الله محمد ابن عباد وذلك في المقدمة، وإحدى عشر ألفا مجاهدا بقيادته خلف الجبال، وأربعة آلاف مجاهد من السودانيين المدربين على أعلى درجة ومعهم السيوف الهندية الفتاكة والحراب وذلك في المؤخرة، وكان توقع المُعْتَمِد على الله صائبًا صحيحًا، فانقض الجيش الذي يقوده رودريك بمنتهى العنف على معسكر المُسْلِمِين فجر يوم الجمعة، على مقدمة جيش المسلمين بقيادة الأمير المعتمد على الله وأبلى المسلمون فيها بلاء حسنا حتى قيل أنه قتل تحت الأمير المعتمد على الله ثلاثة خيول وإستمر القتال حتى العصر حتى أنهك الفريقان بعد ذلك دخلت المجموعة الثانية بقيادة الأمير يوسف ابن تاشفين المعركة فحدثت مقتلة عظيمة في صفوف النصارى وعند غروب الشمس دخلت المجموعة الثالثة المعركة فقتل من النصارى ٥٩.٥٥٠ ألف وفر ٤٥٠ فارس مع ألفونسو وقد قطعت ساقه وهلك منهم ٣٥٠ تأثرا بجراحهم الشديدة في طريق عودتهم ولم يصل مع ألفونسو إلى ١٠٠ مقاتل فقط، وسميت هذه المعركة بالزلاقة لكثرة القتل حتى أصبحت الأرض زلقة من الدماء، وأصبح يوم الزِّلاقَة عند المغاربة والأَنْدَلُسيين مثل يوم القادسية واليرموك، فياله من فتح ما كان أعظمه، يوم كبير ما كان أكرمه، ففي يوم الزِّلاقَة ثبت قدم الدِّين بعد زلاقها وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها. ثم عاد الأمير يوسف ابن تاشفين بلاده تاركا غنائم عظيمة لملوك الطوائف والمفاجأة هو أن عمر الأمير يوسف ابن تاشفين آنذاك كان يناهز ٧٩ عاما، ولكن سرعان ما تقاتل ملوك الطوائف عليها فأرسل العلماء هناك رسالة إلى الأمير يوسف ابن تاشفين يسألوه النجدة، ولقد كره الأمير يوسف ابن تاشفين في باديء الأمر أن يقاتل المسلمين ولكن عندما أشار عليه مشايخ المالكية آنذاك بأنه ينبغي أن يضم هذه الدويلات إلى دولة المرابطين قبل أن تسقط الواحدة تلو الأخرى عندئذ سار بجيشه واستطاع أن يدخل جميع هذه الدويلات إلى دولة المرابطين عام ٤٨٣هـ أي بعد معركة الزلاقة بأربعة سنوات وبذلك إمتدت دولة المرابطين من شمال الأندلس إلى وسط إفريقيا، وأصبحت من أقوى دول العالم في هذا الوقت.

معاشر الإخوة، من قصة قيام دولة المرابطين يتبين لنا أهمية العلماء فى قيادة الأمة نحو المجد والعزَّة والكرامة، وكيف حرصوا على الأخذِ بالأسباب الماديَّة والمعنويَّة التى حققت النَّصر والتمكين على الأعداء نذكر منها: الإيمان

والعمل الصالح، والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المادية من قوة ومن رباط الخيل، المشاورة بين المسئولين، والثبات عند لقاء العدو، و الدعاء وكثرة الذكر، وطاعة الله ورسوله ﷺ، والاجتماع وعدم النزاع، الصبر والمصابرة، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]، وعن أهمية سنة التَدرُّج فى تغيير الشعوب وبناء الدول، ويعطى للتربية الربَّانية أهمية قُصوَىٰ فى تحقيق الأهداف العُظمَى للأمة سواء على مستوى القادة فى أخلاقهم وعلمهم وجهادهم، أو على مستوى الشعوب فى استجابتها لكتاب ربِّها وسنة نبيِّها وقيادتها المُخلصة (٥١).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في كثرة الحلف)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

جاء في معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي، عَنْ سَلْمَانَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ - أي عجوز زان-، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ- أي فقير متكبر-، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ»(١)، وأخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ- أي مروجة- لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ - أي مذهبة - لِلْبَرَكَةِ»(٢).

فكثرة الحلف على السلعة له صور: فقد يحلف البائع أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كاذب وبذلك يكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة بأكمله وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال

(١) (صحيح) أخرجه (طب هب) وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٧٢.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٨١، و(م) ١٦٠٦.

وذهاب وعقاب،، وكثرة الحلف تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيده ضعيف (٥٧).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (تلاعن وندامة أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى:{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً(٦٨)} [الأحزاب:٦٧-٦٨].

المعنى: وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطَعْنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهُدى والإيمان. ربنا عذِّبهم من العذاب مثلَيْ عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا. وفي هذا دليل على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله، موجبة لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

وقال تعالى:{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ(٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ(٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ(٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)} [غافر:٤٧-٥٠].

وقال تعالى:{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)} [إبراهيم:٢٢].

والمعنى: وقال الشيطان - بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خَلْقه، ودخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ-: إن الله وعدكم وعدًا حقًا بالبعث والجزاء، ووعدتكم وعدًا باطلا أنه لا بَعْثَ ولا جزاء، فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها على اتباعي، ولا كانت معي حجة، ولكن دعوتكم إلى الكفر

والضلال فاتبعتموني، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، فالذنب ذنبكم، ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثيَّ من عذاب الله، إني تبرَّأت مِن جَعْلِكم لي شريكًا مع الله في طاعته في الدنيا. إن الظالمين لهم عذاب مؤلم موجع.

وقال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا(٦٦)} [الأحزاب:٦٦].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثامن والستون:

سقوط الخلافة العباسية على أيدي التتار وأسباب السقوط)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد..

أحبتي في الله، موعدنا اليوم مع قصة سقوط الخلافة العباسية فلقد ظهرت قوة التتار في عام ٦٠٣هـ وكان ظهور هذه الدولة أول ما ظهرت في " منغوليا " بشمال الصين وكان أول زعمائها هو " جنكيز خان " وتعني باللغة المنغولية " قاهر العالم " أو " ملك ملوك العالم " وكان ذلك الرجل سفاحا وسفاكا للدماء وكان قائدا عسكريا شديد البأس وكانت له القدرة علي تجميع الناس حوله، وخرج من التتار قبائل أخرى كثيرة منها قبيلة المغول وقبائل الترك والسلاجقه وغيرها وعندما سيطر المغول على هذه المنطقة بقيادة جنكيز خان أطلق أسم المغول على هذه القبائل كلها، وكان لهم ديانة غريبة جدا وهي خليط من أديان مختلفة جمعها جنكيز خان من شرائع الإسلام والمسيحية والبوذية واختلق لهم أشياء أخري؛ وأخرج لهم في النهاية كتابا جعله كالدستور للتتار ويسمى هذا الكتاب بأسم " الياسق " وأصبح ذلك هو دستور دولة التتار وعقيدتهم.

وكانت حروب التتار تتميز بأشياء خاصة تميزهم دائما عن غيرهم ومن أهم هذه الأشياء:سرعة انتشار رهيبة، أعداد هائلة من البشر، نظام محكم وترتيب دقيق، تحمل الظروف القاسية من (حر أو برد أو صحراء أو أدغال) بمعني أنهم يقاتلون في كل مكان، قيادة عسكرية بارعة جدا، وأنهم بلا قلب فحروبهم كلها كانت حروب تخريب غير طبيعية فكانوا يبيدون ابادة جماعية لأهل المدن من أطفال ونساء وكهول لا يفرقون بين مدني وعسكري الكل عندهم سواء لا يفرقون بين ظالم ومظلوم وكانوا كما قيل " أن قصدهم هو أفناء النوع وابادة العالم لاقصد الملك أو السلطان "، رفض قبول الآخر والسير على مبدأ القطب الأوحد وليس هناك مجالا للتعامل مع دول أخرى

محيطة، والغريب أنهم كانوا يدَّعون أنهم ما جاءوا إلى البلاد إلا ليقيموا الدين ولينشروا العدل وليخلصوا البلاد من الظالمين، و كانوا لاعهد لهم مطلقا

ولا أيسر عندهم من نقض العهود وإخلاف المواثيق.

ولقد أرسل الصليبيين وفدا رفيع المستوى من أوروبا إلي منغوليا؛ مسافة تزيد علي ١٢ ألف كم ذهابا فقط؛ ليحفزوا التتار على غزو البلاد الإسلامية وإسقاط الخلافة العباسية؛ وأنهم سيساعدونهم على حرب المسلمين؛ وبذلك تم إغراء التتار إغراء كاملا وحدث ماتوقعه الصليبيين؛ فقد سال لعاب التتار على أملاك الخلافة العباسية وقرروا فعلا غزو هذه البلاد الواسعة وبدأوا يخططون بحماسة شديدة لإسقاط الخلافة العباسية ودخول بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية.

معاشر الإخوة، عندما قرر جنكيز خان غزو العالم الإسلامي فكر في أن يتمركز في منطقة أفغانستان وأوزبكستان لكبر المسافة بين الصين والعراق ولابد من وجود قواعد إمداد ثابتة للجيوش التترية في منطقة متوسطة بين العراق والصين، ولهذا قرر جنكيز خان خوض حروب متتالية مع هذه المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية التي تعرف بالدولة " الخوارزمية " والتي تمتد حدودها من غرب الصين شرقا إلي أجزاء كبيرة من إيران غربا؛ وكانت تضم بين طياتها عدة أقاليم إسلامية هامة مثل: أفغانستان وأوزبكستان والتركمنستان وكازاخستان وطاجكستان وباكستان وأجزاء من إيران.. وكانت عاصمة هذه الدولة الشاسعة هي مدينة "أورجندة" في تركمنستان حاليًا وكانت هذه الدولة علي خلاف طويل وعقيم مع الخلافة العباسية، فجاء جنكيز خان بجيشه الكبير لغزوها، فدخلت قوات التتار بخارى فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمه إلا الله عز وجل - وأسروا الذرية والنساء وفعلوا مع النساء الفواحش بحضرة أهلهن فارتكبوا الزنا مع البنت في حضرة أبيها ومع الزوجة في حضرة زوجها فمن المسلمين من قاتل دون حريمه حتى قتل ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب، وكثر البكاء والضجيج في البلد من النساء والأطفال والرجال ثم أشعل النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت المدينة تماما حتى صارت خاوية على عروشها " وهكذا هلكت بخارى في عام ٦١٦هـ وكان هلاكها البداية وليس النهاية؛ وكان هذا هو بداية الطوفان التتري الذي اجتاح العالم الإسلامي بأسره، حتى سيطروا على بلاد خوارزم كلها بعد حروب مريرة مع المسلمين، وفي عام ٦٢٤هـ توفي جنكيز خان وخلف امبراطورية تمتد من كوريا الى

منتصف ايران ومن سيبريا الى المحيط الهندي، وهدأت الأمور نسبيا ولكن بعد خمس سنوات بدأت الأمور تشتعل من جديد، ولكن هل أفاق المسلمون؟! لا! بل إنشغل كل حاكم بالبحث عن أمنه المحدود في بلده، وفي عام ٦٢٩ هـ حدث اجتياح رهيب على بلاد ايران ثم روسيا ثم أوربا حتى وصلت القوات التتارية إلى بولندا والمجر وكرواتيا، ثم عادوا بعد ذلك للمسلمين مرة أخرى، وفي عام ٦٤٩هـ في عهد قائد التتار منكو خان عقدت التحالفات مع أمراء الممالك الصليبية ووعدهم ملك التتار بأن يعطيهم المقدس هدية إذا ساعدوه في إسقاط الخلافة العباسية إلا أن أمراء الإمارات الصليبية بالشام ترددوا في ذلك بإستثناء واحد فقط وهو أمير أنطاكيا وكان يدعى "بوهمند"، كما عقد هولاكو شقيق منكو خان ملك التتار معاهدات مع أمراء المسلمين الضعفاء؛ فجاء كلاً من: بدر الدين لؤلؤ " أمير الموصل ليتحالف معه وبذلك تكون منطقة شمال العراق وهم الأكراد قد تحالفوا مع التتار لدخول بغداد من الشمال، وجاء كلاً من " كيكاوس الثاني " و " قلج أرسلان الرابع " سلطانا السلاجقه ليتحالفا مع هولاكو وهم أمراء تركيا التي تقع إلى الشمال من العراق؛ وأرسل " الناصر يوسف " أمير حلب ودمشق حفيد صلاح الدين الأيوبي ابنه العزيز ليقدم فروض الولاء والطاعة إلى هولاكو، وجاء " الأشرف الأيوبي " أمير حمص ليقدم ولاءه لهولاكو، كما اتصل هولاكو بمؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي الوزير الأول للخليفة المستعصم وأتفق معه على تسهيل دخول الجيوش التترية إلى بغداد بالمساعده بالآراء الفاسدة والإقتراحات المضللة للخليفة وهذا سيكون في مقابل أن يكون له شأن في مجلس الحكم الذي سيدير بغداد بعد سقوط الخلافة فقام الوزير الفاسد بدوره على أكمل وجه حيث طلب هولاكو من الوزير الفاسد " مؤيد الدين بن العلقمي " أن يقنع الخليفة العباسي أن يخفض من ميزانية الجيش وأن يقلل من أعداد الجنود حتى لا تثير حفيظة التتار ويظهر لهم أننا رجال سلام ولسنا أصحاب حرب؛ فبعد أن كان يبلغ تعداد الجيش مائة ألف فارس في آخر أيام المستنصر بالله والد المستعصم بالله وذلك في سنة ٦٤٠هـ- أصبح هذا الجيش لا يزيد على عشرة آلاف فارس فقط في سنة ٦٥٤ هـ، وفي هذه السنة أدرك هولاكو أن الظروف قد أصبحت ملاءمة للهجوم المباشر على الخلافة العباسية فبدأ بحصار بغداد بأكثر من مائتي ألف جندي هذا بخلاف الأعداد

الهائلة من الجنود المنتشرين في شمال وشرق وغرب وجنوب العراق والقوات المكلفة بحماية الطرق وتأمين الإمداد والتموين هذا غير الفرق المساعدة للجيش من فرق الإمداد والتموين والإستطلاع والمراقبة. وقرر هولاكو عدم دخول بغداد إلا بعد أن يقضي على طائفة الإسماعيلية التي تتمركز في الجبال في غرب وشرق العراق تماماً وبالفعل دارت حروب شرسة بين الفريقين إنتهت بسحق كامل للإسماعيلية وخلوا المنطقة تماماً منهم وأصبح الطريق مفتوحاً لبغداد وهذه الحروب أخذت سنة ٦٥٥هـ بكاملها.. وضرب الحصار على بغداد فارتاع الخليفة لذلك وعقد إجتماع عاجل وجمع فيه كبار مستشاريه وعلى رأسهم الوزير الخائن " مؤيد الدين بن العلقمي " وكان من رأيه مهادنة التتار وإقامة مباحثات سلام فلا مانع عنده من بعض التنازلات وكان رأيه هو السلام غير المشروط مع التتار؛ لكن قام رجلان من الوزراء في مجلس الخليفة وهما " مجاهد الدين أيبك " و " سليمان شاه " قاما ليشيرا على الخليفة بحتمية الجهاد؛ ونتيجة لحالة الرعب التى مني بها الخليفة العباسي وافق على إجراء المفاوضات مع التتار؛ وبعث رجلين ليديرا المفاوضات معهم وهما مؤيد الدين العلقمي الشيعي الذي يكن في قلبه كل الحقد والغل على الخلافة العباسية وأرسل معه متيكا بطريرك بغداد النصراني، فأعطيت الوعود العظيمة من هولاكو لكليهما إن ساعدا على إسقاط بغداد وبعض العروض والوعود؛ فالوعود كانت:إنهاء حالة الحرب بين الدولتين، وإقامة علاقة الزواج بين ابنة القائد هولاكو الذي سفك دماء الملايين من المسلمين وابن الخليفة المستعصم، ويبقى المستعصم بالله على كرسي الحكم، و إعطاء الأمان لأهل بغداد جميعاً.

أما الشروط كانت: قمع حركة الجهاد التي أعلنت في بغداد فهذه الدعوة إلى الجهاد ستنسف كل مباحثات السلام فعلى الخليفة أن يسلم إلى هولاكو رءوس الحركة الإسلامية في بغداد وهما مجاهد الدين أيبك وسليمان شاه، ومن ثم أتباعهما، وتدمير الحصون العراقية وردم الخنادق وتسليم الأسلحة، والموافقة على أن يكون حكم بغداد تحت رعاية أو مراقبة تترية. وختم هولاكو المباحثات مع المبعوثين بأنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا لإرساء قواعد العدل والحرية والأمان وبمجرد أن تستقر الأمور وفق الرؤية التترية سيعود إلى بلاده ويترك

العراقيين يضعون دستورهم ويديرون بلادهم بأنفسهم.

فاقنع مؤيد الدين العلقمي الخليفة بهذه الشروط والوعود ورغبه في قبولها فتردد الخليفة في قبول هذه المفاوضات ولكنه قبلها بعد ذلك بناء على نصائح مؤيد الدين العلقمي ونفذ كل شروطهم فقتلت صفوة المجاهدين في بغداد مجاهد الدين أيبك، وسليمان شاه، وجنودهما، ودمرت الحصون العراقية، وردمت الخنادق، وسلمت الأسلحة ثم خرج المستعصم بأولاده وكبار الدوله فقتلوا جميعا وسقطت بغداد، وقتل ما لايقل عن مليون شخص بل يزيد من أبناء بغداد من مليوني شخص من بينهم الخليفة المستعصم وتدمير كل مظاهر الحضارة في بغداد وكذا الإلقاء بالكتب الموجودة في مكتبة بغداد في نهر دجله حتى تغير لون المياه للون الأسود واستمر التتار ٤٠ يوما في بغداد يقتلون ولا يرفع مسلم فيها سيفا للهزيمة النفسية الرهيبة وبعد أربعين يوما خرج هولاكو بجنده من بغداد حتى لا يصاب جنده بالطاعون نتيجة للوباء الناتج عن تجيف جثث المسلمين في الطرقات، وجعل على البلاد الوزير العلقمي وجعل معه مراقبين من التتار.

ثم صنع الجيش التتري جسوراً على نهر الفرات، وعبر النهر إلى الشام، حتى وصلوا إلى حلب في شهر صفر عام ٦٥٨ هـ، فأرسل الطاغية هولاكو رسالة إلى أهل حلب، يقول فيها: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق ولم نأت لقتالكم، وطلب منهم أن يجعلوا عندهم بعض قواته، فردُّوا عليه بعزة المؤمنين: مالك عندنا إلا السيف. فتعجب هولاكو من ضعفهم وجوابهم، وزحف إليهم وحاصرهم، وبعد سبعة أيام من الحصار أعطاهم هولاكو الأمان، فلما دخل هو وجنده البلد غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وفعلوا فيها ما فعلوه ببغداد.وبعد أن استولوا على حلب، جاء صاحب حماه وسلم مفاتيحها إلى هولاكو ثم تقدم الجيش التتري إلى دمشق وحاصروها، وفي عام ٦٥٨هـ ألقي القبض على الناصر يوسف الذي كان يعاونهم من قبل ودخل التتار عاصمة الخلافة الأموية دمشق وتقدم صفوف التتار القائد التتري كتبغا نوين النصراني وعن يمينه أمير آرمينيا النصراني وعن يساره أمير أنطاكية النصراني وهذا لم يحدث من قبل في تاريخ دمشق منذ دخل الإسلام فيها، ثم بعد ذلك تقدم التتار إلى فلسطين واحتلوا نابلس ثم غزة ولم يقتربوا من المقدسات النصرانية في

حيفا وعكا وبيت المقدس وصيدا وأصبح معلوما عند الجميع أن الخطوة القادمة مصر(٥١)، (٥٢).

معاشر الإخوة، أظن أنكم ستشاركوني العجب من الشبه الكبير بين الماضي والحاضر، فما أشبه الليلة بالبارحة، وكأن التاريخ يعيد نفسه.

الإخوة الفضلاء، يتبين لنا مما سبق أن هناك عدة أسباب للهزيمة التى منى بها المسلمون على أيدي التتار نذكر منها:

١- عدم التربية الإسلامية للأمة والتى نتج عنها ضعف الإيمان في نفوس الناس فانتشرت الفواحش والمعاصي والذنوب وكثر الظلم ونقض عهد الله ورسوله، فسلط الله على المسلمين التتار، أخرج ابن ماجة في السنن والحاكم في المستدرك عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ..»(١).

٢- التنازع والتفرق والترشذم فهو أيضا من أسباب الهزيمة قال الله تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال:٤٦].

٣- الهزيمة النفسية التي حلت بالمسلمين نتيجة لضعف الإيمان قال الله تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩].

٤- عدم إعداد القوة والعتاد والعدة العسكرية لارهاب العدو، والأسوء من ذلك تدمير الآلة العسكرية وتسريح الجيش لإرضاء العدو لتجنب الجهاد، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠].

٥- عدم تربية الأمة على روح الجهاد، خصوصا جهاد الدفاع الذي هو فرض عين على المسلمين، حتى يندفع شر الأعداء لرد إعتداء المعتدين، ولتمييز المؤمنين وكشف المنافقين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخرة فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخرة إِلاَّ قَلِيلٌ{٣٨} [التوبة:٣٨].

(١) (صحيح) أخرجه (هـ ك) وصححه الألباني في ص.ج ٧٩٧٨.

٥- اللهو والسهو والغفلة وعدم تحمل المسئولية من ولي الأمر.

٦- عدم استشارة العلماء العاملين واستشارة بطانة السوء كما هو الحال من أخذ الخليفة بمشورة الخائن الوزير ابن العلقمي الرافضي.

٧- من أعظم البلاء أن يكون من المسلمين من ينصر أعداء الدين على إخوانه المسلمين{الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً} [النساء:١٣٩] (٥١)، (٥٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، لقد نهى سبحانه وتعالى عن نقض العهود، فقال{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الإيمان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل:٩١]، ونقض العهود فيه نقصٌ في التّوحيد، لأنّه يدلّ على عدم احترام عهدِ الله.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ- أي في حق نفس ذلك الأمير خصوصا -بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:«اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا - أي الخيانة في الغنم أي لَا تَخُونُوا فِي الْغَنِيمَةِ -، وَلَا تَغْدِرُوا - أي ولا تنقضوا العهد -، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا - أي صبيا لا يقاتل -، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسلام فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ،

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ - أي عهد الله -وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ - أي عهد نبيه- فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا - أي تنقضوا- ذِمَمَكُمْ- أي عهدكم- وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»[1].

وبذلك إذا حصل خطأ في اجتهاد البشر فإنه لا يُنسب إلى حكم الله ﷻ ولهذا قال في ختام الحديث: فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا (٥٧).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (حوار أهل الجنة و أهل الأعراف و أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ(٤٨) أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ(٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ(٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(٥١)} [الأعراف: ٤٨-٥١].

فأصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى ويقفون على الأعراف وهو حاجز عظيم بين الجنة والنار، حتى يقال لهم ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم.

قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٣١.

الظَّالِمِينَ(٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخرة كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ(٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٧)} [الأعراف: ٤٤-٤٧].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني التاسع والستون:

انتصار المسلمون على التتار في عين جالوت وأسباب النصر والتمكين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، موعدنا اليوم مع انتصار المسلمون على التتار في موقعة عين جالوت بقيادة الأمير سيف الدين قطز، ففي سنة ٦٤٨هـ استقر الملك بمصر للسلطان المملوكي الأول المعز عزالدين أبيك، والذي تزوجت به شجرة الدر بعد وفاة زوجها الملك الصالح أيوب، وبقي المعز في الحكم ما يقارب السبع سنوات، وفي عام ٦٥٥هـ اكتشفت شجرة الدر أن العز خطب ابنة صاحب الموصل، فتغيرت عليه، ثم تغير هو عليها وهم بقتلها، فاتفقت مع مماليكها فقتلوه، ثم قام مماليك المعز بعد موته بقتلها، واتفقوا على ولاية ولده المنصور علي بن المعز وكان صغيراً كثير اللعب، فتولى الأمور نيابة عنه كبير الأمراء سيف الدين قطز. وفي عام ٦٥٧ هـ وأمام هذا الخطر العظيم قام سيف الدين قطز نائب المنصور بجمع العلماء والقضاة لمناقشة الخطر من وجود التتار على مشارف مصر في غزة بفلسطين، ووقع الاتفاق على خلع الملك الصغير المنصور ومبايعة سيف الدين قطز بالملك، فلُقّب بالملك المظفر سيف الدين قطز، وفي هذه الأثناء قام المظفر سيف الدين قطز بعمل عظيم فأصدر قراراً بالعفو عن المماليك الصالحية الذين هربوا إلى الشام جراء خلاف حدث بينهم وبين مماليك العز أي مماليك عز الدين أيبك فيما قبل، وأرسل إلى بيبرس وتودد إليه، فقدم بيبرس واستقبله سيف الدين قطز استقبالاً حافلاً، وأنزله بدار الوزارة، وبدأت جموع المماليك الصالحية تتوافد إلى مصر، وبهذا اتحدت كلمة المماليك، والتأم شملهم، على يد المظفر سيف الدين قطز رحمه الله وبعد سقوط دمشق أرسل الطاغية هولاكو رسالة تهديد ووعيد إلى المظفر سيف الدين قطز، وكان مما جاء فيها (من ملك الملوك شرقاً وغرباً، باسمك اللهم باسطَ الأرض ورافعَ السماء.. يعلم الملك المظفر سيف الدين قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا أننا جند الله في أرضه، خَلَقنا من سخطه، فسلّموا إلينا تسلموا قبل أن تندموا، وقد سمعتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد،

فلكم منا الهرب ولنا خلفكم الطلب، فعجلوا لنا بالجواب قبل أن تُضرِمَ الحربُ نارها وترميكم بشرارها، فما بقي لنا مقصدٌ سواكم، والسلام).

وبعد وصول الرسالة عقد سيف الدين قطز اجتماعاً عاجلاً استشار فيه أمراء المماليك وقال لهم: إن القوم لا دين ولا أيمان لهم.

وبعد المداولات انتهى الاجتماع بقرار الحرب ضد التتار، وفي تصرف سريع وحازم، أحضر سيف الدين قطز رسل هولاكو وأمر بتوسيطهم أي بضرب الواحد منهم بالسيف في وسطه فيقسم قسمين.

ثم بدأ سيف الدين قطز يحشد الحشود ويجهز الجيش، ويستعين بالعلماء في الحث على الجهاد والنفرة في سبيل الله، وكان على رأس هؤلاء العلماء الإمام العز بن عبد السلام.

ثم ظهرت مشكلة أخرى، وهي عدم وجود الأموال الكافية لتجهيز الجيش، فاجتمع بالعلماء وقال إنه يريد فرض الضرائب على الناس فاعترض العلماء عليه، وأعلن العز بن عبد السلام أن على الأمير قبل أن يفرض الضرائب أن يخرج الحلي التي في بيته وبيوت الأمراء وأن يضربها نقوداً فإذا لم تف الحاجة فليفرض الضرائب على الناس.

وكان للعز بن عبد السلام منزلةٌ كبيرةٌ عند المماليك، فامتثل سيف الدين قطز أمر العز بن عبد السلام، وكان هذا من توفيق الله لهما وللأمة.

وكانت خطة المظفر سيف الدين قطز أن يبادر التتار قبل أن يبادروه،لأنه من الأفضل نقل المعركة لأرض الخصم، وأن يفاجيء الأعداء قبل أن يستعدوا له ولقد فطن الظاهر سيف الدين قطز أن الذي يهب الحياة هو الله فيهب الحياة لمن حرص على الشهادة ويهب النصر لمن حرص على الجنة، لكن بعض الأمراء كانوا لا يرون الخروج إلى الشام، فتجهز سيف الدين قطز للخروج واختار معه الأمراء الذين يوافقونه على الخروج إلى الشام، وواعد بقية الأمراء في الصالحية- بلدة في مصر شرق دلتا النيل - وكان خروجه في رمضان أو آخر شعبان عام ٦٥٨هـ.

وبعد أن وصل إلى الصالحية وتجمع الأمراء خطبهم خطبة عظيمة قال فيها: " يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون بيت المال وأنتم للغَزاة كارهون!

وأنا متوجه إلى الله ورسوله، فمن اختار منكم الجهاد يصحبْني، ومن لم يختر ذلك يرجعْ إلى بيته فإن الله مطلع عليه ".

ثم تكلم الأمراء الذين معه وأيدوه، فوافق الآخرون وساروا جميعاً إلى الشام وبلغ عدد جيش المسلمين ١٢٠ ألفا، وجعل سيف الدين قطز على مقدمة الجيش بيبرس فقط، وجعل المقدمة كبيرة جدا أراد أن يفهم التتار أن المقدمة هي كل جيش المسلمين، وساروا حتى وصلوا إلى غزة، والتقت مع حامية التتار بغزة وقاتلتها بشدة وانتصرت عليها وفر التتار إلى الشمال يخبرونهم بأن جيش المسلمين في مصر جاء إلى فلسطين، واعتقد التتار أن جيش المسلمين هي المقدمة فقط وتعمد سيف الدين قطز ذلك فكان لا يظهر جيشه الذي يقوده ولكن يعمد لإظهار جيش الظاهر بيبرس، ثم سلكوا طريق الساحل حتى بلغوا عكا، وكانت بيد الفرنج، فالتقى سيف الدين قطز بملكهم، وعرض ملك الفرنج عليه المساعدة فرفض، وطلب منهم أن يكونوا على الحياد، وهددهم بالقتل إن بدرت منهم بادرة شر.

وكان هولاكو بعد استيلائه على دمشق قد بلغه نبأ وفاة أخيه (مانغو) ملكِ التتار، وكان هولاكو يطمع في الملك، فغادر الشام متوجهاً إلى الصين لحضور اجتماع رؤساء التتار لانتخاب الملك الجديد، وعَيَّن مكانه أحد الأمراء الكبار وهو كتبغا نوين، وجاءت الأخبار له بخروج الجيش المصري إلى الشام فتوجه بجيشه إليهم، وسار الفريقان حتى التقيا في عين جالوت في الخامس العشرين من رمضان عام ٦٥٨هـ.

وتقدم كتبغا بكل جيشه ٢٠٠ ألف جندي، ولم يدع له ظهرا (تدبير رب العالمين)، ولما تراءى الجمعان، ورأى سيف الدين قطز كثرة التتار أمر جيشه أن لا يبدؤوا القتال حتى تزول الشمس، ويدعوَ لهم الخطباء والناس في صلاة الجمعة.وبدأت المعركة فتلقى الظاهر بيبرس الضربة الأولى بصبر شديد وتناثرت أشلاء المسلمين على أرض عين جالوت، وجرت دماءهم، ولكن ما فر رجل واحد منهم ثم تظاهر الظاهر بيبرس إلى التراجع إلى داخل السهل لا ستدراكهم، فحدث لهم ما أراد فدخل التتار إلى مكامن المسلمين، فأشار سيف الدين قطز إلى قوات جيشه الموجودة خلف التلال وأحاطت بقوات التتار الهائلة كإحاطة السوار بالمعصم وكانت هذه المعركة من أشرف المعارك في تاريخ

المسلمين، وثبت المسلمون ثباتا عظيما ولكن التتار لم يلبثوا أن تداركوا أنفسهم وبدئوا يحاربون في منتهى العنف وظهرت مهاراتهم وبراعاتهم في القتال فحدث تردد في جيش المسلمين وبدأت جيوش المسلمين تعود للخلف، فلاحظ سيف الدين قطز هذا فقام بشجاعة نادرة فألقى خوزته على الأرض تعبيرا على اشتياقه للشهادة وطلبه للموت وأطلق صيحته الخالدة وا اسلاماه، وا اسلاماه، وا اسلاماه، واندفع نحو نيران التتار، كالسيل الجرار ورأى جنود الإسلام قائدهم أمامهم، يقاتل كالأسد، فالتفوا حوله، واستبسلوا في القتال والجيش من ورائه، وقام الأمير جمال الدين الشمسي بحمله صادقة على جيش التتر فوجد أمامه كتبغا قائد التتر فحمل عليه حملة صادقة وقتل كتبغا ودب الاضطراب في جيش التتار وأسر ابن كتبغا وانسحب التتار بسرعة إلى مكان بعيد عن مكان الموقعة، ثم عادوا من جديد يرتبون صفوفهم قرب بيسان وانطلق خلفهم سيف الدين قطز بجيشه وكانت موقعة جديدة أشرف من الأولى وكانت بالنسبة للتتار الحياة أو الموت، وبالنسبة للمسلمين النصر أو الشهادة وقاتل التتار قتالا مريرا وعاد سيف الدين قطز يصيح صيحته الخالدة وا اسلاماه وا اسلاماه وا اسلاماه ثم دعا ربه قائلا اللهم انصر عبدك قطز على التتار فنزلت رحمات الله على جيش قطز، ولعنات الله على جيش التتر وقاتل سيف الدين قطز قتالا شديدا حتى قتل فرسه فكان يقاتل وهو مترجلا حتى أعطاه أحد جنوده فرسه وانكسر جيش التتر كسرة لا قيام بعدها في أرض الشام، وانطلق المسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون وقتل جيش التتار بأكملة في موقعة عين جالوت، ولم يفر إلا الشريد وحينما اطمأن سيف الدين قطز إلى نصر الله، ترجل عن فرسه، ومرغ وجهه في التراب تواضعًا لله، وسجد لله شكرًا على هذا النصر المبين.

ثم انطلق بيبرس ومجموعة من الأمراء وراء التتار الذين فروا من المعركة حتى أدركوهم في حلب، وبدأ المسلمون بتطهير البلاد من التتار.

وفي دمشق وصلت البشارة بالنصر فتبادر المسلمون إلى مواجهة من بقي من التتار في دمشق، يقتلونهم ويطلقون أسرى المسلمين الذين كانوا في أيديهم.

وطارت الأخبار بانتصار المسلمين وانكسار التتار، فابتهج المسلمون في الأمصار، وبدأ التتار يفرون من بلاد الشام خوفاً من انتقام المسلمين، بل إن منهم من دخل في الإسلام بعد معركة عين جالوت.

معاشر الإخوة، أسباب للنصر من واقع قصة التتار والمسلمين كما يلي:

١) انتصرنا لما نصرنا الله بالجهاد ذروة سنام الإسلام، فكان الجهاد في سبيل الله وحده بعيداً عن شعارات القومية والوطنية والعرقية، لقد سمع الله صيحة قطز وهو يصرخ (وا إسلاماه)، فلما علم الله صدق النية أنجز وعده، ونعني به الجهاد المشروع، المبني على تحقيق المصلحة العامة، بعيداً عن الأفكار المنحرفة كالغلو في التكفير، أو الاجتهادات الخاطئة التي تنقل المواجهة داخل بلاد المسلمين.

٢) انتصرنا لما خَلُصت المقاصد، وصحت العقائد، وتعلقت قلوب المسلمين بالله وحده، فلم يلوذوا بالبدوي، ولم يطوفوا بالقبور.

٣) انتصرنا لما ربينا الأمة والشباب تربيةً إيمانيةً علميةً جهادية، فآتت هذه التربيةُ أكلَها بإذن ربها، وأخرجت للأمة أبطال الميدان، وفرسان الإيمان. قلوبهم واعية، وعقولهم زاكية، وهمتهم عالية، وسيوفهم ماضية، هكذا كان الأيوبيين وبعدهم المماليك يربون الأبطال، ويصنعون الرجال، لم يكونوا يربونهم على الأغاني والتمثليات، ولا على المباريات، ولا على الملهيات.. نعم.

٤) انتصرنا لما اتفق المسلمون واجتمع شملهم وتناسوا الخلافات فيما بينهم، وتحرروا من مخلفات النزاع الشخصي، فيعفو سيف الدين قطز عن بقية المماليك، ويكرم بيبرس ويدفن الخلافات الشخصية في سبيل مصلحة الأمة.

٥) انتصرنا لما اتحدت كلمة أولي الأمر من الأمراء والعلماء فاشتد تماسك المجتمع، ورضي الله عن الأمراء الذين كانوا يجلون العلماء، وينزلونهم منازلهم، ويصدرون عن رأيهم، ورضي الله عن العلماء الذين صدعوا بكلمة الحق، ورغبوا الناس في التضحية والجهاد، فاجتمع السيف بالقرآن وكان النصر لأهل الإيمان.

٦) انتصرنا بالتضحية، لما ضحينا بدنيانا في سبيل ديننا، فلم تلهنا الشهوات والملذات عن الاستجابة لأمر الله، فها هو قطز وأمراؤه يمتثلون أمر العز بن عبد السلام فيحضرون الحلي والجواهر من قصورهم، ليجهزوا بها الجيش المسلم.

٧) انتصرنا عندما نشرنا الدين والعلم والدعوة، لما رفعنا راية الدين.

٨) انتصرنا بالقدوة الحسنة، لما رأى الناس علماءهم وأمراءهم يتقدمونهم في التضحية والبذل لهذا الدين، فلم تكن قدوات المجتمع حفنةً من المغنين أوالممثلين أو اللاعبين واللاهين.

٩) انتصرنا بالسلاح المعطل الذي لا تصمد أمامه أيُ قوة على وجه الأرض عندما كان الخطباء والمسلمون في عين جالوت، يبتهلون إلى الله بالدعاء يوم الجمعة.. عندما كان قطز يصيح بين الصفوف: اللهم انصر عبدك قطز على التتار.

١٠) انتصرنا لما لم نستعن بالصليبين ولا بغيرهم وهو يتضح من رفض سيف الدين قطز لمعاونة نصارى عكا لهم (٥١)، (٥٢).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في الأقسام على الله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ جُنْدَبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ الله لِفُلَانٍ، وَإِنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ (١).

إخوتي في الله: الإقسام على الله هو: الحلف على الله، فإن كان هذا الحلف على الله بأنّه لا يرحم عباده ولا يغفرُ لهم ولا يُدخل أحداً منهم الجنّة فهذا محرَّم، وهو سوء أدبٍ مع الله تعالى، لأنّ معناه: الحجّر على الله تعالى، ولا أحدٌ يمنع الله من أن يتصرّف في خلقه، وأن يرحم من شاء ويعذّب من شاء، ويغفر لمن شاء؟.

فهذا النوع يُعتبر مُخلاً بالتّوحيد فقد يوفّق العبد للتوبة قبل الموت بلحظات ثم يدخله الله الجنّة، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٢١.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» (١).

ومن الأقسام على الله: أن يكون على وجه حسن الظنّ بالله أن يفعل الخير، وأن يغفر لعباده وأن يسقيهم المطر، وأن ينصرهم على الأعداء، فهذا لا بأس به، لأنّه حسن ظنٍّ بالله، وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ - أي مقدم الأسنان - جَارِيَةٍ - أي المرأة الشابة - فَطَلَبُوا الأَرْشَ - أي الدية - وَطَلَبُوا الْعَفْوَ فَأَبَوْا فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهُمْ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَقَالَ:«يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ» فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» (٢).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (خطاب أصحاب النار مع رب العالمين ومع خزنة جهنم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، قال محمد بن كعب رحمه الله تعالى: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعد أبدا...{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ(١١)} [غافر: ١١]، فيقول الله تعالى لهم ذَلِكُم{بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ(١٢)} [غافر: ١٢]،{فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ (٤٤)} [إبراهيم:٤٤]، فيجيبهم الله تعالى {أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ(٤٤)} [إبراهيم: ٤٤]، فيقولون{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ (٣٧)} [فاطر:٣٧]، فيجيبهم الله تعالى {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)} [فاطر:٣٧] ثم قَالُوا{رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ(١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ(١٠٧)} [المؤمنون:١٠٧]، فيكون الرد من الله{قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) 6123.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٥٦.

تُكَلِّمُونِ (١٠٨)} [المؤمنون:١٠٨] (٣٦).

خطاب أصحاب النار لخزنة جهنم: قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ(٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)} [غافر:٥٠].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني السبعون:

فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح وأسباب النصر والتمكين)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد..

أحبتي في الله، موعدنا اليوم مع فتح القسطنطينية العظيم على يد السلطان محمد الفاتح، فلقد كان يراود خلفاء المسلمين بدئا بمعاوية ابن أبي سفيان ﷺ، وسليمان ابن عبد الملك فتح القسطنطينية فلقد كانت مدينة القسطنطينية محط أنظار المسلمين بجمالها وبهائها، كأنها درة قد احتضنها خليج البسفور من الشرق والشمال، وامتدت من جهة الغرب لتتصل بالبر ولكن لم يشأ الله ﷻ أن تفتح حصونها لسوء الأحوال الجوية وبرودة الجو الذي لم يعتاده العرب أثناء الحصار الذي فرضوه على المدينة، بالإضافة إلى قوة تحصين المدينة التي حالت دون فتحها، ثم جاء السلطان العثماني محمد الفاتح وتولى حكم الخلافة العثمانية في ١٦محرم ٨٥٥هـ، وعمره ٢٢ سنة، وكان محمد الفاتح شخصية فذّة، جمعت بين القوة والعدل، وهو السلطان السابع في سلسلة آل عثمان محمد الثاني بن مراد الثاني، ويُلقَّب بالفاتح، وقد حكم نحو ثلاثين سنة، كانت خيرًا وبركة على المسلمين، وكان قد تسلّم قيادة أعظم إمبراطورية إسلامية تقف وحدها مدافعة عن المسلمين بعد سقوط الأندلس، وبعد انهيار خلافة العباسيين، وبعد أن تداعت دولة المماليك آيلة للسقوط أبطال موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ.

وحمل العثمانيون الراية بعد تداعي هذه القوى (العباسية، والأيوبية والمماليك) فَصَدّوا أوربا، التي كانت قد زحفت على شمال إفريقية (تونس والجزائر ومراكش) بعد سقوط غرناطة بالأندلس سنة ٨٩٧هـ فكان ظهور العثمانيين إنقاذًا من الله عز وجل للعالم الإسلامي.

وكان محمد الفاتح محبًّا للعلماء، يقربهم لمجالسه، وقد تعلم منهم بعض الأحاديث النبوية، التي تثني على فاتح القسطنطينية، ومن ذلك قول رسول الله

ﷺ: « لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»[1]، ولهذا كان الفاتح يطمح في أن يكون هو المقصود بحديث رسول الله ﷺ، ولقد أثمرت تربية العلماء له حب الإسلام والإيمان، والعمل بالقرآن وسنة سيد الأنام ولذلك نشأ على حب الالتزام بالشريعة الإسلامية، واتصف بالتُّقى والورع، وكان محبًّا للعلم والعلماء، وكان الفاتح يميل لدراسة كتب التاريخ، وقد سار على المنهج الذي سار عليه أجداده في الفتوحات؛ ولهذا برز بعد توليه سلطة الدولة العثمانية فأعاد تنظيم إدارات الدولة المختلفة.

ولقد بذل السلطان محمد الفاتح جهودًا خارقة في مجال التخطيط لفتح القسطنطينية والتي طالما اعتزت بها الإمبراطورية البيزنطية بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة، فدعم الجيش العثماني بالقوى البشرية، حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون مجاهد، كما عنى بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة، وبمختلف أنواع الأسلحة، التي تؤهلهم للجهاد المنتظر.

كما اعتنى الفاتح بإعدادهم إعدادًا معنويًّا قويًّا، وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء الرسول ﷺ على الجيش الذي يفتح القسطنطينية، وعسى أن يكونوا هم هذا الجيش المقصود بذلك.

وفي الناحية التكتيكية العسكرية صمم الفاتح على إقامة قلعة روملي حصار في الجانب الأوربي على مضيق البسفور في أضيق نقطة منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان العثماني بايزيد في البر الآسيوي ووصل ارتفاعها إلى ٨٢م، وأصبحت القلعتان متقابلتين، ولا يفصل بينهما سوى ٦٦٠م تتحكمان في عبور السفن من شرقي البسفور إلى غربيه، وتستطيع نيران مدافعهما منع أي سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من شرقها مثل مملكة طرابزون، وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة.

كما اعتنى السلطان بتطوير الأسلحة اللازمة لهذه العملية المقبلة، حيث أحضر مهندسًا مجريًّا يُدعى أوربان كان بارعًا في صناعة المدافع، وقد تمكن هذا المهندس من تصميم وتنفيذ العديد من المدافع الضخمة، كان على رأسها المدفع السلطاني المشهور، والذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان،

(١) (ضعيف) أخرجه (حم عم تخ طب ك خط كر) ضعفه الألباني في س.ض ٨٧٨ .

وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه، كما أعطى الفاتح عناية خاصة بالأسطول العثماني؛ فتعددت عدد السفن أربعمائة سفينة.

ثم زحف السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية فوصلها في ٢٦ربيع الأول ٨٥٧هـ، فحاصرها من البر بمائتين وخمسين ألف مقاتل، ومن البحر بأربعمائة وعشرين شراعًا، ومن ثَمَّ قام السلطان محمد الفاتح بتوزيع جيشه البريّ أمام الأسوار الخارجية للمدينة، كما أقام الفاتح جيوشًا احتياطية خلف الجيوش الرئيسية، وعمل على نصب المدافع أمام الأسوار، ومن أهمها المدفع السلطاني العملاق، كما وضع فرقًا للمراقبة في مختلف المواقع المرتفعة والقريبة من المدينة، وقد انتشرت السفن العثمانية في المياه المحيطة بالمدينة، فوقع الرعب في قلوب أهل المدينة؛ إذ لم يكن عندهم من الحامية إلا خمسة آلاف مقاتل، معظمهم من الأجانب، وبقي الحصار ٥٣ يومًا، ولم ينفك العثمانيون أثناءها عن إطلاق القنابل، إلا أنها في عجزت عن الوصول إلى القرن الذهبي؛ حيث كانت السلسلة العملاقة تمنع أي سفينة من دخوله، بل وتحطم كل سفينة تحاول الاقتراب.

لكن الله ألهم السلطان الفاتح إلى طريقة يستطيع بها إدخال سفنه إلى القرن الذهبي دون الدخول في قتال مع البحرية البيزنطية متجاوزًا السلسلة التي تغلق ذلك القرن، وهذه الطريقة تتمثل في جرّ السفن العثمانية على اليابسة والتي قدرت بثلاثة أميال حتى تتجاوز السلسلة التي تغلق المضيق والدفاعات الأخرى، ثم إنزالها مرة أخرى إلى البحر. ولقيت هذه الفكرة التشجيع من المختصين لتنفيذها، وبدأ العمل بصمتٍ على تسوية الطريق وتجهيزها، دون أن يعلم البيزنطيون الهدف من ذلك، كما جمعت كميات كبيرة من الأخشاب

والزيوت، ثم تابع السلطان مدَّ الأخشاب على الطريق الذي كان قد سوِّي، ثم دهنت تلك الأخشاب بالزيوت، وجرت السفن من البسفور إلى البرّ؛ حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأنزلت في القرن الذهبي، وتمكن العثمانيون في تلك الليلة من سحب أكثر من سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من العدو، واستيقظ أهل المدينة على صيحات العثمانيين وأصواتهم يرفعون التكبير والأناشيد التركية في القرن الذهبي، وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي.

ولجأ العثمانيون في المراحل المتقدمة من الحصار إلى طريقة جديدة ومبتكرة في محاولة دخول المدينة؛ حيث عملوا على حفر أنفاق تحت الأرض من أماكن مختلفة إلى داخل المدينة، التي سمع سكانها ضربات شديدة تحت الأرض أخذت تقترب من داخل المدينة بالتدريج، فأسرع الإمبراطور بنفسه ومعه قُوَّاده ومستشاروه إلى ناحية الصوت، وأدركوا أن العثمانيين يقومون بحفر أنفاق تحت الأرض، وإلى جانب ذلك لجأ العثمانيون إلى طريقة جديدة في محاولة الاقتحام، وذلك بأن صنعوا قلعة خشبية ضخمة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار، وبارتفاع أعلى من الأسوار، وقد كسيت بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران، وكان الرجال الذين في الدور العلوي من الرماة يقذفون بالنبال كل من يطل برأسه من فوق الأسوار.

ثم وجَّه السلطان الجنود إلى الخشوع، وتطهير النفوس، والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة، وعموم الطاعات والتذلل، والدعاء بين يديه؛ لعل الله أن ييسر لهم الفتح، وانتشر هذا الأمر بين عامة الجند المسلمين، كما قام الفاتح بنفسه ذلك اليوم بتفقد أسوار المدينة، واستمر الجنود وسلطانهم يجتهدون لاختراق أسوار المدينة حتى تمكن المهاجمون من ناحية باب أدرنة من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج، والقضاء على المدافعين فيها، ورفع الأعلام العثمانية عليها، وتدفق الجنود العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة. ولما رأى الإمبراطور البيزنطي ذلك خلع ملابسه حتى لا يُعرف، ونزل عن حصانه، وقاتل حتى هلك في ساحة المعركة. ولم تأت ظهيرة ذلك اليوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ٨٧٥هـ، إلا والسلطان محمد الفاتح في وسط المدينة يحيطه جنده وقواده وهم يرددون: ما شاء الله! فالتفت إليهم وقال:

لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية، الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ، وهنأهم بالنصر، ونهاهم عن القتل، وأمرهم بالرفق بالناس، والإحسان إليهم.

ثم ترجل عن فرسه، وسجد لله على الأرض شكرًا وحمدًا وتواضعًا، ثم قام وتوجه إلى كنيسة آيا صوفيا، وقد اجتمع بها خلقٌ كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان، الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، فلما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها ووجلوا وجلاً عظيمًا، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له، فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فاطمأن

الناس، وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة، فلما رأوا تسامح محمد الفاتح وعفوه، خرجوا وأعلنوا إسلامهم.

وقد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية، واختيار رؤسائهم الدينيين، الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى (٥٣).

معاشر الإخوة، لقد ذكر المؤرخون أسباب كثيرة في فتح القسطنطينية منها:

١- ضعف الدولة البيزنطية، والصراعات العقدية بداخلها.

٢- زيادة إهتمام سلاطين الدولة العثمانية بفتح القسطنطينية.

٣- التربية الربَّانية لكل من السلطان محمد الفاتح وكذا جيشه، ولقد أعد محمد الفاتح الجيش الذي حاصر القسطنطينية إعداداً ربانياً على معاني الإيمان والتقوى، وتحمل الأمانة وأداء الرسالة المنوطة به ومعاني العقيدة الصحيحة وأشرف العلماء الربانيون على تلك التربية الربانية من الكتاب والسنة.

٤- التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المادية من قوة ومن رباط الخيل: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:١٥٩].

٥- الثبات عند لقاء العدو الصبر والمصابرة، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠].

٦- زيادة همة الجنود بتوعيتهم بفضل الجهاد، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١)} [الصف: ١٠-١١] (٥٣).

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا تَسْتَطِيعُونَهُ وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى» (١).

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٧٨

وروى الترمذي وابن ماجة في سننهما عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[1].

قال فضيلة الدكتور أحمد فريد ولقد شرع الله جهاد الطلب في سبيل الله من أجل نشر الدين الإسلامي وذهب جمهور العلماء أن هذا الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين فمن منافعه هداية الخلق بإدخالهم في دين الله تعالى ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين (٥٤).

٧- ارتباط السلطان وجنوده بالله عز وجل بكثرة الدعاء والذكر، هذا هو السلاح الفتاك الذي غفل عنه المسلمون فينبغي الدعاء على كل من أراد بالإسلام والمسلمين سوءا بأن يجعل الله كيده في نحره، وأن يشغله بنفسه، وأن يولى على المسلمين من يتقي الله فيهم ويحكم بشرعه ويسعي لوحدة الصف ونبذ الفرقة، ولقد تجلت أخلاق الإسلام والمسلمين في هذه المعارك وفي سماح السلطان محمد الفاتح مع النصارى على نقيض ما يدعيه بعض الحاقدين على الإسلام والمسلمين (٥٣).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في قول الله تعالى: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ

(١) (صحيح) أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في صت ١٣٧٥.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ{وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧] (١).

إخوتي في الله، الملاحدة ما قدروا الله حقَّ قدره، الذين نفوا وُجود الله ووجود الخالق. وكذلك المشركون الذي أقرّوا أن الخالق الرّازق المحيي المدبِّر هو الله سبحانه وتعالى، واعترفوا بتوحيد الرّبوبية، ولكنّهم خالفوا في العبادة، وخالفوا في توحيد الألوهيّة، فعبدوا مع الله غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة، هؤلاء ما قدروا الله حقّ قدره، حيث إنّهم أشركوا معه غيرَه في عبادته، من لا يخلُق ولا يرزق ولا يملك.

وكذلك ما قدر الله حقّ قدره مَن جحد الأسماء والصّفات، فمن أنكر الأسماء والصّفات الّتي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسولُه ﷺ أو تأوّلها على غير معناها وألحد فيها؛ ما قدَر الله حقّ قدره، فالذي قال: لا يوصف الله بأنّه في العلو عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه"، ثم راح يؤوّل هذه الصّفات إلى معانٍ لا تحتملُها، فهذا ما قدَر الله حقّ قدره سبحانه وتعالى، حيث إنّه ألحد في أسمائه، وألحد في صفاته.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة(خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى:{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ(٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٨)} [الزخرف: ٧٨].

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ:نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ)٤٥٣٣، و(م) ٢٧٨٦.

قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ» : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا (١).

عباد الله، يالها من حسرة شديدة حيث يعلم الانسان أنه من المخلدين في النار فلا ينفعه ماله ولا يشفع له ولده وينجيه منصبه، ويا فرحة أهل الجنة عندما يعرفون أنهم مخلدون في الجنة يشربون من أنهارها وعيونها، ويأكلون من طيرها وثمرها، ويتلذذون بحورها، ويتجلى عليهم ربهم برؤيته، نسأل الله تعالى أن نكون من أهل الجنان.

وأخيرا، فهذا ما يسره الله لي، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأدعوا الله عز وجل أن يجعلنا من الذين قال فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠)} [يونس:٩-١٠]، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٥٣ ، و(م) ٢٨٤٩ واللفظ لمسلم.